التربية في القرآن الكريم

ملامح تربوية لبعض آيات القرآن الكريم

الجزء الثاني

د.عبدالرحمن سعيد الحازمي

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾(١).

وقال عز وجل:

﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾(٢).

وقال جل جلاله:

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾(٣).

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ

---

(١) الإسراء: ٩.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) النحل: ٨٩.

حديث شريف:

قال صلى الله عليه وسلم: **"تركتُ فيكم شيئَينِ، لن تضِلوا بعدهما: كتابَ اللهِ، وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ"**[٤].

(٤) الألباني، صحيح الجامع، حديث رقم: (٢٩٣٧).

www.alukah.net

شبكة الألوكة

التربية في القرآن الكريم

ملامح تربوية لبعض آيات القرآن الكريم

(الجزء الثاني)

إعداد

د.عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقدمـــة

الحمـد لله الـذي أنـزل علـى عبـده الكتـاب ولم يجعـل لـه عوجاً، وجعله هدى ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي كان خُلُقه القرآن، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبتوفيق الله تعالى سبق أن صدر لي كتاب بعنوان: "**التربية فـي القــرآن الكـريم**" قبل أكثر من عشرين عاماً، وكان يَضُم تسع عشرة آية، وهي عبارة عن توجيهات تربوية لهذه الآيات تم استنباطها بعد الرجوع لكتب التفسير المعتبرة، ومن خلال خبرتي في علم التربية الإسلامية ومجالات الحياة، وبفضل الله وإحسانه لاقى الكتاب انتشاراً طيباً في بعض الدول الإسلامية، منها (إندونيسيا وكردستان)، والفضل لله من قبل ومن بعد، وبعد مرور هذه المدة الطويلة على (**الجزء الأول**) أعود بعون الله عز وجل مرة أخرى لإصدار (**الجزء الثاني**) بنفس العنوان مع تغيير كلمة "**توجيهات تربوية**" إلى "**ملامح**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تربوية"، ويَضُم بين دفتيه ثلاثاً وعشرين آية، تم استنباط ملامح تربوية لها، ولعله من المناسب إعادة ذكر أسباب وضع عنوان لمحتوى هذه التوجيهات، أو الملامح بالتربية في القرآن؛ وهي:

أولاً: أن القرآن الكريم، كما قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾(١)، وهو يهدي للتي هي أقوم في شؤون الحياة كلها: الدينية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، التربوية ...الخ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾(٢).

ثانياً: إبراز أهمية العودة الصادقة إلى القرآن الكريم وتدبّر آياته وفهمها وتطبيقها؛ ليكون القرآن الكريم والتربية القرآنية هادية ومرشدة للمسلمين في شؤون حياتهم اليومية كلها، دِقّها وجِلّها.

---

(١) فصلت: ٤١-٤٢.

(٢) الإسراء: ٩. وللفائدة: الرجوع لتفسير أضواء البيان للشنقيطي رحمه الله، وفيه تفصيل مفيد ورائع لمضمون هذه الآية.

ثالثاً: محاولة التخلص شيئاً فشيئاً من مؤثرات الثقافة الغربية الوافدة التي ابتليت بها بعض المجتمعات الإسلامية، والتي يتعارض جُلُّها، أو بعضُها مع الإسلام؛ مع إمكانية بقاء الصالح منها المتوافق مع قواعد الإسلام ومبادئه السمحة من باب؛ "**الحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها، فهو أحق بها**".

سائلاً الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجه الكريم، وابتغاء مرضاته، وأن يكون علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، يجري ثوابه لكاتبه، ومن راجعه، ولمن قرأه في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

مدخل

أهمية القرآن الكريم وأثره في النفوس

يجب أن يستقر في قلب كل مسلم، اليقين الكامل بأهمية القرآن الكريم هادياً، ومربياً، وموجهاً، ومصلحاً لكافة شؤون الحياة صغيرها وكبيرها قليلها وكثيرها استناداً لنصوص القرآن الكريم المؤكدة على شمول القرآن الكريم لكل شيء، فمنها قوله تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[٢].

ولمكانة القرآن الكريم وعِظَم شأنه وجلالة قدره؛ فإن المتدبرَ والمتأمل والمطبق لسورة واحدة، أو آية منه، كافية لهداية الناس لخيري الدنيا والآخرة. قال الشافعي رحمه الله عن سورة العصر: "لو ما أنزل

---

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) النحل: ٨٩.

الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم"(١). وقال الزركشي رحمه الله مشيراً إلى قوله تعالى: "﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾(٢) أنها جمعت أصول أحكام الشريعة كلها؛ فجمعت الأمر، والنهي، والإباحة، والتخيير"(٣). كما أورد القرطبي رحمه الله أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال عن قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾(٤): هذه أجمع آية في القرآن لخير يمتثل ولشر يُجتنب"(٥).

وقال ابن رجب رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ**

---

(١) تفسير الإمام الشافعي، سورة العصر، (ص ١٤٦١).

(٢) الأعراف: ٣١.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٣/٢).

(٤) النحل: الآية ٩٠.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٠/ ١٦٥).

عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[١] قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي ذر رضي الله عنه، وقال له: "لو أن الناسَ كلهم أخذوا بها لكفتهم". ثم قال ابن رجب رحمه الله: "يعني لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم"[٢].

أما عن أثر القرآن الكريم، أو أثر الآية الواحدة في النفوس المؤمنة، فقد قال تعالى: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾**[٣]. قال القرطبي رحمه الله: "عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا قُرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم"[٤].

---

(١) الطلاق:٢.

(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (١/٤٣٦).

(٣) الزمر:٢٣.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٥/ ٢٤٩).

وكـان صـلى الله عليـه وسـلم أكثـرَ الخلـق معرفـة بالله تعـالى وبكتابه العزيز، فكان بأبي وأمي أشد المتأثرين بسماع القرآن الكريم؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأ عليّ قلت: يا رسول الله آقرأ عليك وعليك أنزل! قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً**﴾[1]، قال: حسبك الآن، فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان"[2].

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن الكريم الذين هم أهله وخاصته.

---

(١) النساء: ٤١.

(٢) صحيح البخاري، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، حديث رقم ٤٧٦٣، (١٩٣٥/٤).

أوصاف القرآن الكريم

إن مما يؤكد عظمة القرآن الكريم ومكانته، أن الله أنزله هدى وإرشاداً لخلقه، وضمنه أوصاف الكمال والجمال والإعجاز، وهي أوصاف مستحقة له، تليق بكلام ربنا وخالقنا ومدبر أمرنا جل في علاه وتقدست أسماؤه، وبعض أوصافه هذه متشابهة في معانيها ومتكررة حسب سياق السور، ولكنها تتكرر بألفاظ مختلفة لأهداف وأغراض تربوية متنوعة.

وفيما يلي ذكر لأوصاف القرآن الكريم في القرآن، ثم أذكر بعض أوصافه في السنة الشريفة، وأخيراً أشير إلى بعض أوصافه عند غير المسلمين.

أ- أوصاف القرآن الكريم في القرآن:

هناك جملة من أوصاف القرآن الكريم وردت في القرآن الكريم، ومن تلك الأوصاف ما يلي:

أولاً: أنه لا شك فيه ولا ريب، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(١).

ثانياً: أن هدايته لا تحصل إلا لأهل التقوى، قال تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

ثالثاً: أنه الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٣).

رابعاً: أنه يهدي للتي هي أقوم وأصوب وأعدل في كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٤).

خامساً: أنه أحكمت ألفاظه وفصلت معانيه، قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾(٢).

---

(١) البقرة: من الآية ٢.

(٢) البقرة: من الآية ٢.

(٣) الفاتحة: ٦.

(٤) الإسراء: ٩.

سادساً: أنه لا يمكن لأحد أياً كان أن يُدخل فيه ما ليس منه، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٣).

سابعاً: أنه ليس به عوج ولا ميل ولا زيغ، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾(٤).

ثامناً: أنه مبارك لما فيه من الخير والنعم الكثيرة، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾(٥)، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾(٨).

---

(١) هود: ١.

(٢) فصلت: من الآية ٣.

(٣) فصلت: ٤٢.

(٤) الكهف: ١.

(٥) الأنعام: من الآية ٩٢.

(٦) الأنعام: ١٥٥.

(٧) الأنبياء: من الآية ٥٠.

(٨) صّ: من الآية ٢٩.

تاسعاً: أنه يخرج الناس من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان، قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٤).

عاشراً: أنه واضح سليم من النقص والتغيير والتبديل، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾(٥).

الحادي عشر: أنه تذكرة لأولي الألباب، وهم المنتفعون بما فيه من الخيرات النافعة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

(١) إبراهيم: ١.

(٢) المائدة: من الآية ١٦.

(٣) الحديد: من الآية ٩.

(٤) الطلاق: من الآية ١١.

(٥) الكهف: ٢٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(٤).

الثاني عشر: إنزال آياته باللغة العربية التي هي أكمل اللغات وأفضلها وأفصحها وأوسعها، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) الرعد: ١٩.

(٣) صٓ: ٢٩.

(٤) غافر: ٥٤.

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[٣].

الثالث عشر: أنه كامل لا اختلافات فيه ولا تناقض؛ لكونه من الله تعالى المنزه عن ذلك، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٤].

الرابع عشر: أنه حصن وحجاب وستر ومنعة من كل أذى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[٥].

الخامس عشر: أنه معجز في نظمه وفي تراكيبه وفي ألفاظه وفي معانيه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١].

(١) فصلت: ٣.

(٢) الشعراء: ١٩٥.

(٣) الزمر: من الآية ٢٨.

(٤) النساء: ٨٢.

(٥) الإسراء: ٤٥.

السادس عشر: أنه يشتمل على كل خير يصل به الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾(٤).

السابع عشر: أنه ميسر الألفاظ للحفظ والأداء ومعانيه للفهم والعلم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾(٧).

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) الإسراء: ٨٩.

(٣) الكهف: ٥٤.

(٤) طه: ٢.

(٥) مريم: من الآية ٩٧.

(٦) الدخان: ٥٨.

(٧) القمر: ١٧.

الثامن عشر: قوة تأثيره، فلو أنزله الله تعالى على الجبال الراسيات لخشعت وتجاوبت معه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

التاسع عشر: أنه شفاء ورحمة للمؤمنين المصدقين بآياته العاملين بها، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

العشرون: أنه محفوظ بحفظ الله حال إنزاله وبعد إنزاله، فحفظت ألفاظه ومعانيه من التغيير والزيادة والنقص دون غيره من الكتب السماوية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٣).

---

(١) الحشر: ٢١.

(٢) الإسراء: من الآية ٨٢.

(٣) الحجر: ٩.

الحادي والعشرون: أنه شامل لكل شيء، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(٢).

الثاني والعشرون: أنه نَزَلَ بالعدل والحق والأمور الحميدة والنهي عن الظلم والأمور المستقبحة، قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(٣).

الثالث والعشرون: أنه يهدي إلى الصواب والخير، ويوصل إلى الجنة دار النعيم المقيم والخير العميم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٤).

---

(١) الأنعام: من الآية ٣٨.

(٢) النحل: من الآية ٨٩.

(٣) الإسراء: ١٠٥.

(٤) الأحقاف: ٣٠.

الرابع والعشرون: أنه عجباً، يهدي إلى السداد والنجاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾(١).

الخامس والعشرون: أنه فيه برهان وحجج قاطعة وأنوار ساطعة لبيان الحق لمن أراد الحق ووفق له، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾(٢).

السادس والعشرون: وصفه بالروح؛ لأنه تحيا به القلوب كما تحيا بالأرواح الأبدان، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾(٣).

السابع والعشرون: أنه موعظة وتذكرة وزاجر ومانع للمتقين، قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) الجن: ١ – ٢.

(٢) النساء: ١٧٤.

(٣) غافر: ١٥.

(٤) آل عمران: ١٣٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آَيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

الثامن والعشرون: أنه أحسن القصص وأحسن الحديث، لصدقه وسلامة عباراته، ووضوح ألفاظه ومعانيه، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآَنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾(٤).

التاسع والعشرون: أنه متشابه في حسنه ومثاني أي: يكرر المعاني لتثبيتها في الأذهان، ثم بعد ذلك تقشعر منه جلود الخائفين من الله عندما يسمعون هذه المعاني وما فيها من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والبشارة والإنذار، قال تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾(٥).

---

(١) النور: ٣٤.

(٢) الحاقة: ٤٨.

(٣) يوسف: ٣.

(٤) الزمر: من الآية ٢٣.

(٥) الزمر: من الآية ٢٣.

الثلاثون: أنه نبأ وخبر عظيم الشأن لا يُستخف به، ويدعى إلى هداه ويعمل به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾(٣).

الحادي والثلاثون: أنه قرآن كريم حق لا ريب فيه ولا شك، وهو كثير الخير والعلم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾(٤).

الثاني والثلاثون: أنه ذكر لجميع المكلفين الإنس والجن يتذكرون به ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾(٧).

---

(١) الحجر: ٨٧.

(٢) صّ: ٦٧.

(٣) النبأ: ١ – ٢.

(٤) الواقعة: ٧٧.

(٥) صّ: ٨٧.

(٦) القلم: ٥٢.

(٧) التكوير: ٢٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثالث والثلاثون: أنه يفرق بين الهدى والضلال والحق والباطل والغي والرشاد، قال تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢).

الرابع والثلاثون: أنه نور للبصائر، أي: القلوب، قال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٣).

الخامس والثلاثون: أنه مُعَظَّمٌ وموقر ومطهر من الدنس، ومحفوظ من الزيادة والنقص، قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾(٥).

السادس والثلاثون: أنه مزدجر وواعظ من ارتكاب المحظورات الشرعية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾(٦).

---

(١) آل عمران: من الآية ٤.

(٢) الفرقان: ١.

(٣) الجاثية: ٢٠.

(٤) عبس: ١٣ - ١٤.

(٥) البينة: ٢.

(٦) القمر: ٤.

السابع والثلاثون: فيه حكمة بالغة في هدايته لمن هداه الله، وإضلاله لمن أضله، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾(٢).

الثامن والثلاثون: أنه ذكرى للمؤمنين، وهم المنتفعون بما فيه من التوجيهات والمبادئ والقيم السامية دون غيرهم، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

التاسع والثلاثون: أنه حديث الله، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾(٦).

---

(١) القمر: ٥.

(٢) البقرة: من الآية ٢٦.

(٣) الأعراف: ٢.

(٤) الأعراف: ١٨٥.

(٥) الجاثية: ٦.

(٦) المرسلات: ٥٠.

الأربعون: أنه موعظة وزاجر عن الفواحش، ورحمة وذكرى للمؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٤)].

الحادي والأربعون: أنه محكم في كل ما جاء فيه من الحلال والحرام والحدود والأحكام، قال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[(٥)]، وقال

(١) يونس: ٥٧.

(٢) آل عمران: ١٣٨.

(٣) هود: ١٢٠.

(٤) النور: ٣٤.

(٥) يونس: ١.

تعالى: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(٢).

الثاني والأربعون: أنه المجيد، أي: الشريف والرفيع القدر، قال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾(٣).

الثالث والأربعون: أنه كلام الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾(٤).

الرابع والأربعون: أنه فرقان، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٦).

---

(١) يّس: ١ – ٢.

(٢) هود: ١.

(٣) قّ: ١.

(٤) التوبة: من الآية ٦.

(٥) آل عمران: من الآية ٣ – ٤.

(٦) الفرقان: ١.

www.alukah.net

يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره، عند قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[1]، أي: الفارق بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والغي والرشاد، بما يذكره الله تعالى من الحجج، والبينات، والدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات، ويبينه، ويوضحه، ويفسره، ويقرره ويرشده إليه، وينبه عليه.

الخامس والأربعون: أنه حبل الله، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[2]. يقول البيضاوي - رحمه الله - في تفسيره، في معنى حبل الله: فيه استعارة؛ لأن التمسك بالقرآن الكريم سبب للنجاة من الردى، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردي[3].

السادس والأربعون: أنه قيم، أي: مستقيم معتدل، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

---

(١) الفرقان: ١.

(٢) آل عمران: من الآية ١٠٣.

(٣) تفسير البيضاوي (٢/ ٧٣).

(٤) الكهف: ١ - ٢.

السابع والأربعون: أنه قول فصل، أي: حق وعدل يفصل بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[١].

الثامن والأربعون: تنزيل من رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣]، وقال جلا وعلا: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٩]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[١]،

---

(١) الطارق: ١٣.

(٢) الشعراء: ١٩٢.

(٣) السجدة: ٢.

(٤) يّس: ٥.

(٥) الزمر: ١.

(٦) غافر: ٢.

(٧) فصلت: ٢.

(٨) فصلت: من الآية ٤٢.

(٩) الجاثية: ٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْحَكِيمِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾(٣).

التاسع والأربعون: أنه العلم الحقُّ، قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٥).

الخمسون: أنه العروة الوثقى، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾(٦)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾(٧).

---

(١) الأحقاف: ٢.

(٢) الواقعة: ٨٠

(٣) الإنسان: ٢٣.

(٤) البقرة: من الآية ١٢٠.

(٥) البقرة: من الآية ١٤٥.

(٦) البقرة: من الآية ٢٥٦.

(٧) لقمان: من الآية ٢٢.

الواحد والخمسون: أنه الصدق، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾(١)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٢).

الثاني والخمسون: أنه أمر الله، أي: حكمه وشرعه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾(٣).

الثالث والخمسون: بشير ونذير، أي: بشير بالجنة ونذير من عذاب النار: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾(٦).

---

(١) الزمر: ٣٢.

(٢) الزمر: ٣٣.

(٣) الطلاق: ٥.

(٤) البقرة: ١١٩.

(٥) فاطر: ٢٤.

(٦) فصلت: ٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرابع والخمسون: أنه كتاب عزيز لا يتطرق إليه باطل ولا تحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[١].

الخامس والخمسون: أنه بلاغ للناس، أي: تبليغ وعظة لما فيه من اتباع الخير واجتناب الشر، قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢].

السادس والخمسون: فيه بشارة للمؤمنين والمتقين لقاء ما يعملونه من أعمال صالحة، وإنذار للمشركين والعصاة مما اقترفت أيديهم من المعاصي والآثام، قال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[٥].

---

(١) فصلت: ٤١.

(٢) إبراهيم: ٥٢.

(٣) الإسراء: من الآية ٩.

(٤) الكهف: من الآية ٢.

(٥) مريم: من الآية ٩٧.

السابع والخمسون: أنه مهيمن على الكتب السماوية التي سبقته، حيث إنه مشتمل على ما فيها وزيادة في المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[١].

الثامن والخمسون: أنه يتضمن الوعيد أي: التخويف والتهديد، والثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[٢].

التاسع والخمسون: أنه عزيز: أي بعيد ومنيع عن كل تحريف وسوء، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[٣].

ب- أوصاف القرآن الكريم في الأحاديث النبوية الشريفة:

جاء في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - أوصاف عدة للقرآن الكريم في غاية الروعة والجمال، وتستحق منا معاشر المسلمين حفظها، وتدبرها، ونشرها، والعناية بها، منها:

---

(١) المائدة: من الآية ٤٨.

(٢) طه: ١١٣.

(٣) فصلت: من الآية ٤١.

١ - أنه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا، وحكم ما بينا، وهو الفصل ليس بالهزل، فعن على بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: يقول - صلى الله عليه وسلم -: "ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهُدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[١]، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم"[٢].

٢ - أنه مأدبة الله تعالى، وحبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، فقد ورد في الحديث: عن عبد الله بن

(١) الجن: ١ - ٢.

(٢) الترمذي، باب ما جاء في فضل القرآن، حديث رقم: ٢٩٠٦، (٥/ ١٧٢).

مسعود - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوّم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ألم حرف، ولكن ألف ولام وميم"(١).

٣ - أنه الصراط المستقيم، جاء في الحديث عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "الصراط المستقيم كتاب الله تعالى"(٢).

٤ - أنه شفيع لأصحابه، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة،

---

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، (١/٧٤١). وقال المنذري في الترغيب والترهيب: وهو صحيح، (٢/ ٢٣١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/٢٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة، قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة"[١].

٥ - أنه العروة الوثقى، فعن مغيرة بنت حسان - رضي الله عنها - قالت: سمعت أنساً - رضي الله عنه - يقول: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[٢]، قال: القرآن[٣].

٦ - أنه حجة لنا أو علينا، فعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها"[٤].

ج- وصف بعض المشركين للقرآن الكريم:

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: ٨٠٤، (١/ ٥٥٣).

(٢) البقرة: من الآية ٢٥٦.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: ٣٠٠١٧، (٦/ ١٢٦).

(٤) صحيح مسلم، باب فضل الوضوء، حديث رقم: ٢٢٣، (١/ ٢٠٣).

القرآن الكريم معجز في لغته، وهي اللغة التي تميزت بها قريش، وعُرف عنها الفصاحة والبلاغة والشعر، وعلى الرغم من عداوة بعضهم للرسول - صلى الله عليه وسلم -، إلا أنهم ما إن سمعوا القرآن الكريم حتى تأثروا به، وأنطق الله الحق على ألسنتهم، فوصفوه بأوصاف مستحقة، فمن ذلك ما يأتي:-

١ - جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان المقدم في قريش بلاغة وفصاحة، وكان يقال له: ريحانة قريش، فقرأ - صلى الله عليه وسلم -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١)، وقال له: "أعده، فأعاد ذلك، قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه"(٢).

٢ - وفي قصة ذكرها ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره لسورة فصلت، وكذلك ذكرها في (البداية والنهاية): "أن قريشاً اجتمعت يوماً فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر، والكهانة، والشعر، فليأت هذا الرجل الذي:

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، (٣/ ٣٤٤).

www.alukah.net

فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولننظر ماذا يرد عليه. فقالوا: ما نعلم غير عتبة بن ربيعة، فجاء عتبة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله. فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أنت خير أم عبد المطلب. فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: فرغت، قال: نعم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(١)، حتى بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾(٢)، فقال عتبة: حسبك، حسبك، ورجع عتبة إلى بيته واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: يا معشر قريش! والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد، فانطلقوا إليه، وقالوا له: ما حبسك عنا إلا قد صبأت، فقال لهم:

---

(١) فصلت: ٢.

(٢) فصلت: ١٣.

لقد أتيته وقصصت عليه القصة، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر، ولا كهانة، ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[1]، فأمسكت بفيه، وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب"[2].

---

(١) فصلت: ١٣.

(٢) البداية والنهاية، (٣/ ٦٣).

(١)

الحذر من استبدال الأدنى بالذي هو خير

قال الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

الحذر من استبدال الأدنى بالذي هو خير

قال الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[١].

تمهيد:

قاعدةٌ قرآنيةٌ عامة بالغة الأهمية تَشد الانتباه إلى تربية الإنسان والارتقاء به إلى ما يحبه الله ويرضاه بالحث على العناية بما هو أنفع وأصلح له في شؤون دينه ودنياه، وفي هذا المعنى قول نبينا صلى الله عليه وسلم: "**إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ مَعاليَ الأُمورِ، وأَشرافَها، ويَكرَهُ سَفْسافَها**"[٢].

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال الطبري رحمه الله: "يعني بقوله: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، قال: لهم موسى: أتأخذون الذي هو أخس

(١) البقرة:٦١.

(٢) الألباني، صحيح الجامع، (١٨٩٠).

خطراً وقيمة وقدراً من العيش، بدلاً بالذي هو خير منه خطراً وقيمة وقدراً؟ وذلك كان استبدالهم. وأصل "الاستبدال": هو ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك"[١].

قال القرطبي رحمه الله: "ومعنى الآية: أتستبدلون البقل والقِثّاء والفوم والعدس والبصل الذي هو أدنى بالمنِّ والسلْوى الذي هو خير. واخُتلف في الوجوه التي تُوجب فضل المن والسلوى على الشيء الذي طلبوه، منها: لما كان المنُّ والسلْوى طعاماً مَنَّ الله به عليهم وأمرهم بأكله وكان في استدامة أمر الله وشكر نعمته أجر وذخر في الآخرة، والذي طلبوه عارٍ من هذه الخصائل كان أدنى في هذا الوجه. وقيل: لما كان ما مَنّ الله به عليهم أطيب وألذ من الذي سألوه، كان ما سألوه أدنى من هذا الوجه لا محالة، وقيل: لما كان ما أعطوا لا كلفة فيه ولا تعب، والذي طلبوه لا يجيء إلا بالحرث والزراعة والتعب كان أدنى"[٢].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٣٠).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٤٢٨).

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: عقيدة التوحيد الخالص منطلق أساس في الإسلام، لأن صلاحَ الإنسان والمجتمع والأمة بأسرها مرهون بسلامة عقيدتها، فمن حاد عنها بالكلية، أو أدخل فيها ما ليس منها من قريب أو بعيد، فقد استبدل الأدنى بالذي هو خير، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾(١). قال الطبري رحمه الله: "فقد حرّم الله عليه الجنة أن يسكنها في الآخرة، ﴿**وَمَأْوَاهُ النَّارُ**﴾، يقول: ومرجعه ومكانه -الذي يأوي إليه ويصير في معاده، من جعل لله شريكًا في عبادته- نارُ جهنم، ﴿**وَمَا لِلظَّالِمِينَ**﴾، يقول: وليس لمن فعل غير ما أباح الله له، وعبد غير الذي له عبادة الخلق، ﴿**مِنْ أَنْصَارٍ**﴾، ينصرونه يوم القيامة من الله، فينقذونه منه إذا أورده جهنم"(٢).

---

(١) المائدة: ٧٢.

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٤٨١).

www.alukah.net

ثانياً: من ضعفت همته في تعلم ومعرفة الضروري من الدين، أو قلّ حرصه على التفقه فيما يحتاجه في صلاح نفسه وأهله وأولاده، وما يعينه بالوجه الأكمل في علاقاته الاجتماعية وكافة شؤون حياته، فقد استبدل الأدنى بالذي هو خير، وهناك فرق واضح وجلي بين من وفقه الله تعالى واعتنى بطلب العلم فيما ينفعه ويعينه على أمر دينه ودنياه، وبين من ضعفت همته وغفل عن ذلك، وصدق الله تعالى: ﴿**قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾(١).

ثالثاً: من أضاع عمره وأشغل جل وقته في العناية بتوافه الأمور؛ مثل: قراءة الروايات الفاسدة، ومتابعة الأفلام والمسلسلات الآثمة، وكل ما يدور في فلكها من ضياع الأوقات وتبديد الأموال فيما لا خير منه في أمر دينه أو دنياه، بل قد يلحقه ضرر بالغ منها، فقد استبدل الأدنى بالذي هو خير، ولا شك أن ضياع العمر والأوقات في توافه الأمور مخالف لهدي النبي صلى

(١) الزمر: ٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله عليه وسلم؛ القائل: "إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ مَعاليَ الأُمورِ، وأَشرافَها، وَ كرَهُ سَفْسافَها"[١].

ختاماً: إن الموفق مَنْ عَلِم بفقه المصالح والمفاسد، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات في أعماله وأقواله وفي شؤون حياته كلها، فلم يُقْدِم على قول، أو عمل مهما كان إلا بعد التأكد التام من موافقتهما للضوابط الشرعية من جهة، ومحققة لأعلى المصالح التي تعود عليه بالخير والصلاح في دينه ودنياه من جهة أخرى، وأقوى بل أهم معين في ذلك الاستقامة على الصراط المستقيم، فمن اجتهد في طاعة ربه بالمحافظة على الفرائض المكتوبة والإكثار من نوافل العبادات وقراءة القرآن الكريم وغير ذلك من الأذكار الشرعية الصحيحة المندوبة في اليوم والليلة؛ فقد أخذ بأسباب التوفيق لشؤون حياته، وصدق الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً؛ وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر، أو

(١) الألباني، صحيح الجامع، حديث رقم: (١٨٩٠).

(٢) النحل: ٩٧.

أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة"[١].

والله أسأل أن يتولى أمرنا، وأن يسدد أعمالنا وأقوالنا، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٦).

(٢)

الرضى التام بعطاء اللّه ومنعه

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرضى التام بعطاء اللّه ومنعه

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

تمهيد:

إن توجيهات القرآن الكريم تُهذب النفس، وتُلْبِسُها لباس التقوى والعافية في أمر دينها ودنياها، ذلك لأن مصدرها الخالق جل جلاله العليم بحالها ومشاعرها وأفكارها وما تُحب وتَكره؛ **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾**(٢). قال السعدي رحمه الله: "ومن معاني اللطيف، أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب، ويُرَقِّيه إلى أعلى المراتب، بأسباب

(١) البقرة: ٢١٦.

(٢) الملك: ١٤.

لا تكون من العبد على بال، حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلى المحابّ الجليلة، والمقامات النبيلة"(١).

لذلك فإن من يعش مع القرآن الكريم في يومه وليله فقد حاز خيراً كثيراً، وكلما ازداد الإنسان قُرباً من القرآن الكريم بتلاوته وتدبره وتطبيقه ازداد سعادة واطمئناناً، والناس يتفاضلون في ذلك على قدر عنايتهم به وارتوائهم من معينه العذب. نسأل الله أن يجعلنا وكل من يعز علينا والمسلمين عامة من أهل القرآن الكريم الذين هم أهله وخاصته.

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

لابن القيم رحمه الله في تفسيره كلامٌ نفيسٌ حول الآية موضوع المقال، ولأهميته سأعرضه باختصار وتصرف، قال رحمه الله: في هذه الآية عدة حِكم وأسرار، ومصالح للعبد، فإن العبد إذا عَلِم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة، لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد. ومن الحكم والأسرار ما يلي:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٧٦).

- أنه لا أنفع للعبد من امتثال أمر ربه، وإن شقّ عليه في الابتداء، لأن عواقبَه كلها خيرات ومسرات، ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه، فهو خير لها وأنفع، وكذلك لا شيء أضر عليه من ارتكاب المنهي، وإن هويته نفسه، ومالت إليه، وأن عواقبه كلها آلام وأحزان، وشرور ومصائب، وخاصة العاقل يتحمّل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة، والخير الكثير، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل.
- أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقتضيه له، لما يرجو من حسن العاقبة.
- أنه إذا فَوض العبد الأمر إلى ربه ورضي بما يختاره له أمدّه فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وَصَرف عنه الآفات التي هي عرضة اختياره لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.
- أنه لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعل مضرته وهلاكه فيه، وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه شيئاً، بل

يسأله حُسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك[١].

وقال السعدي رحمه الله: "إن العبد المؤمن إذا أحب أمراً من الأمور فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله ويجعل الخير في الواقع لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه وأقدر على مصلحة عبده منه وأعلم بمصلحته منه كما قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ**﴾ فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره سواء سرتكم أو ساءتكم"[٢].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "وهذا أيضاً كثيراً ما يقع يحب الإنسان شيئاً ويلح فيه، ثم تكون العاقبة سيئة نعم؟ والإنسان بمثل هذه الآية الكريمة يسلي نفسه في كل ما يفوته مما يحبه، ويُصَبِّرَ نفسه في كل ما يناله مما يكرهه؛ كل شيء ينالك وأنت تكرهه فإنك تُصَبِّرَ نفسك ﴿**وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ**﴾، وكل شيء يفوته ونفسك تطلبه تسليها

(١) ينظر: التفسير القيم (ص: ١٤٧).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٧).

فتقول: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾ وهذا هو الواقع، ولو أن الإنسان تأمل ما يجري لحياته اليومية لوجد في ذلك شيئاً كثيراً"[١].

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً : إن الله تعالى حكيم بالغ الحكمة، ورحيم بعباده بالغ الرحمة، فالأمر المكروه الذي يُصيب العبد وامتعضت نفسه منه، وأصابها بسببه شيئاً من الهم والضيق والكرب حتى ضاقت عليه الأرض بما رَحُبَت، قد يأتي من ورائه خير كثير لا يعلم مداه إلا الله، فالكريم إذا أعطى أدهش، قال الشنقيطي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لم يصف هذا الخير هنا بالكثرة ووصفه بها في قوله: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[٢]"[٣].

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٤٩).

(٢) النساء: ١٩.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٩١).

وجميل تعليق محمد رشيد رضا رحمه الله في تفسيره المنار على هذه الآية الكريمة، قال: "ومن الخير الكثير بل أهمه وأعلاه الأولاد النجباء، فرب امرأة يملها زوجها ويكرهها، ثم يجيئه منها من تَقَرُّ به عينه من الأولاد النجباء، فيعلو قدرها عنده بذلك، ومنها أن يصلح حالها بصبره، وحسن معاشرته، فتكون أعظم أسباب هنائه في انتظام معيشته، وحسن خدمته لا سيما إذا أصيب بالأمراض، أو بالفقر والعَوَز"(١).

ثانياً: تأكيداً للمَلْمَح السابق بأن الله تعالى كريم بالغ الكَرم إذا أعطى أدهش، يُعَوّض بالكثير بما لا يُتوقع في حالة عدم الجزع وتفويض الأمر إليه سبحانه والرضى بأقداره التي ملأت القلب ضيقاً وكرباً حال وقوعها، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا"، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ

(١) تفسير المنار (٤/ ٣٧٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا؛ فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم"(١).

ولذلك شواهد كثيرة في حياتنا الاجتماعية، فمن نظر وتأمل أحوال الناس عند الرضى بما يقع عليهم من مصائب كانت حال وقوعها كالجبال على رؤوسهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فاسترجعوا ﴿قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون﴾(٢) وفوضوا أمرهم إلى ربهم سبحانه، فعوضهم الخير الكثير، وكما قيل: المعوض كريم.

ثالثاً: إن حياة الإنسان وما يُصيبه فيها في مجملها قائمة على سنة الابتلاء، فمن أدرك هذه السنة وفَقِهَها بكل جوانبها، فقد أزال عن نفسه غَبَشاً قد يتسبب في تنغيص حياته، وقد أشار القرآن الكريم في مواضعَ شتى إلى سنة الابتلاء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾(٣). قال البغوي رحمه الله: **"وَنَبْلُوكُم"** نختبركم بالشر والخير بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، وقيل: بما

(١) صحيح مسلم، باب ما يقال عند المصيبة، رقم: (٩١٨).

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) الأنباء:٣٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تحبون وما تكرهون، "**فِتْنَةً**" ابتلاء لننظر كيف شُكركم فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون، "**وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**"(١).

رابعاً: إن المسلم المتسلح بالإيمان يتميز عن غيره في التعامل مع سنة الابتلاء خيره وشره. قال صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لأَمْرِ المؤْمِنِ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له"(٢). قال ابن عثيمين رحمه الله: "وكل إنسان؛ فإنه في قضاء الله وقدره بين أمرين: مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له، إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله؛ فكان ذلك خيراً له، فنال بهذا أجر، وإن أصابته سراء من نعمة دينية؛ كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية؛ كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله عز وجل، فيشكر الله فيكون خيراً له، ويكون عليه نعمتان: نعمة الدين، ونعمة الدنيا، نعمة الدنيا بالسراء، ونعمة الدين بالشكر، هذه حال المؤمن، فهو علي خير، سواء أصيب بضراء. وأما الكافر فهو على شر–والعياذ بالله– إن

---

(١) تفسر البغوي (٥/ ٣١٨).

(٢) صحيح مسلم، رقم: (٢٩٩٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أصابته الضراء لم يصبر بل يتضجر، ودعا بالويل والثبور، وسب الدهر، وسب الزمن، بل وسب الله عز وجل ونعوذ بالله، وإن أصابته سراء لم يشكر الله، فكانت هذه السراء عقاباً عليه في الآخرة"[١].

خامساً: لما كان الإيمان حصناً حصيناً وركناً ركيناً في مواجهة أمواج بحر الحياة العاتية التي غالباً ما تُنَغِص على العبد حياته وتصيبه بالهم والضيق، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ**﴾[٢]. قال الشوكاني رحمه الله: "الكبد: الشدة والمشقة، والإنسان لا يزال في مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت، قال الحسن رحمه الله: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة"[٣].

وجدير بالذكر الإشارة هنا إلى الوسائل المهمة لتقوية الإيمان، وقد ذكر ابن باز رحمه الله جملة منها:

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، باب الصبر، (١/ ١٩٧).

(٢) البلد: ٤.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٣٩).

- تدبر القرآن الكريم والعناية بقراءته، والإكثار من ذلك، فمن تدبر القرآن قوي إيمانه واستقام دينه.
- العناية بالأحاديث وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وأخلاق الصحابة والأخيار، يسمع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله، وأعمال أصحابه ونشاطهم في الخير وخوفهم من الله عز وجل حتى يتأسى بالأخيار يعمل كأعمالهم ويجتهد في ذلك.
- محاسبة النفس وأن الموت يأتي بغتة، ماذا عمل؟ ماذا قدم لآخرته؟ حتى يُعد العدة قبل أن يهجم عليه الأجل، فإن محاسبة النفس والنظر فيما أعده العبد للآخرة مما يقوي إيمانه، ومما يعينه على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومما يعينه على البدار بالتوبة إلى الله من سيئات أعماله وتقصيره.
- صحبة الأخيار؛ فيستفيد من أخلاقهم وعلمهم، ويذكرونه بالآخرة، ويعينونه على ذلك.

- حضور حلقات العلم يلتمسها ويحضرها ويستفيد منها، وكذلك يصغي عند سماع الخطب، خطب الجمعة وغيرها، حتى يرق قلبه ويقوى إيمانه[(١)].

سادساً: إن الإنسان كلما ارتقى في العلم والمعرفة بشرع الله تعالى والفقه في الدين، كان ذلك مظنة القدرة على مواجهة الابتلاء خيره وشره، فمن يعلم ليس كمن لا يعلم، وصدق الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[(٢)].

قال السعدي رحمه الله: "**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ**" ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم "**وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**" شيئاً من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء"[(٣)].

---

(١) انظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٤/ ٢٩٧).

(٢) الزمر: ٩.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٢٠). وانظر: مقال: ملامح تربوية مستنبطة من قول الله تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب" للكاتب على موقع الألوكة.

سابعاً: إن المتبصر في دين الله تعالى وشرعه يحرص على تقوى الله تعالى فيأتي ما أُمِر به ويجتنب ما نُهي عنه، فيعتني بأداء الفرائض، وفي مقدمتها المحافظة على الصلوات الخمس جماعة، ويُكثر من النوافل بأنواعها، وفي مقدمتها قراءة القرآن الكريم ولزوم الأذكار الشرعية في ويومه وليله، وكلما كان الإنسان من الله أقرب بالمحافظة على أداء الفرائض والإكثار من النوافل كان من الله في حفظ ورعاية، وكانت حياته مستقرة؛ في سعادة وسلامة وعافية في أمر دينه ودنياه بل في أحواله كلها، وصدق الله تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾**[١].

قال ابن كثير رحمه الله: "هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا – وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله – بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن

---

(١) النحل: ٩٧.

ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت"[١].

ثامناً: في كلام دقيق لابن القيم رحمه الله، قال: "فمن صحَّتْ له معرفةُ ربه والفقهُ في أسمائه وصفاته؛ عَلِم يقينًا أن المكروهات التي تُصِيبه والمِحَن التي تَنزل به فيها ضروبٌ من المصالح والمنافع التي لا يُحصِيها علمُه ولا فِكرتُه، بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يُحِب؛ فعامةُ مصالح النفوس في مكروهاتها؛ كما أن عامةَ مَضارِّها وأسباب هَلَكَتِها في محبوباتها"[٢]. وفي سياق آخر قال رحمه الله: ولو رُزق من المعرفة حظًّا وافرًا لعَدَّ نعمة الله عليه فيما يكرهه أعظمَ من نعمته عليه فيما يحبُّه، كما قال بعض العارفين: يا ابن آدم، نعمةُ الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحبُّ، وقد قال تعالى: ﴿**وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ**﴾[٣].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٦).

(٢) الفوائد، (ص ١٣٣).

(٣) البقرة: ٢١٦. ينظر: مدارج السالكين، (ص ٥٤٠).

تاسعاً: هناك ملمح مهم، وهو أن بعض الناس قد يحصل له ما يكره ويتقبله في بداية الأمر قبولاً طيباً، ويحرص على الدعاء لرفع البلاء، ولكن لأمر يريده الله تتأخر الإجابة، فيبدأ يشعر بالضعف واليأس فيجد الشيطان فرصة مواتية ومدخلاً مناسباً يدخل منها فيُقَنِّطُ المبتلى من رحمة الله، وهذا أمر جد خطير ويخشى من عواقب لا تحمد عُقباها، وقد جاءت الشريعة السمحة بالتحذير منه، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ**﴾[1]. قال الطبري رحمه الله: "ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاه"[2].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[3]. قال الطبري رحمه الله: لا يقنط من

---

(١) الحجر: ٥٦.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١١٣).

(٣) يوسف:٨٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه **"إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ"**، يعني: القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه"[(١)].

ويؤكد ابن عثيمين رحمه الله إلى خطورة القنوط من رحمة الله فيقول: "إن القُنُوط من رحمة الله من كبائر الذنوب؛ ولا تقنط من رحمة الله ولو تأخرت إجابة الدعاء، فأنت لا تدري ما هو الخير، ما أمَرَك اللهُ تعالى بالدُعاء إلا وهو يريد أن يستجيب لك، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادعوني أَستَجِب لَكُم**﴾"[(٢)].

عاشراً: يحتاج الإنسان بصفة دائمة أن يعتني بتفقد أحواله وعلاقته مع خالقه سبحانه الذي أحسن إليه، فقد يكون في بعض الأحيان أن ما أصابه في نفسه أو أهله أو ماله بسبب تقصيره في جنب الله تعالى، وانحرافه على المنهج الشرعي القويم، فالله جل جلاله عدلٌ وليس بظلام للعبيد، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾[(٣)]. قال السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٣٢).

(٢) شرح رياض الصالحين، (٢٩٢/٤).

(٣) الشورى: ٣٠.

مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزاً عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون"[١].

الحادي عشر: يمر الإنسان في حياته بمواقف وقرارات مهمة في بعضها قد يكون فيها تحديد مصير. فالواجب الاعتناء بالأسباب المشروعة قبل الإقدام على أي موقف، أو اتخاذ قرار، وفي مقدمة ذلك الحرص الشديد على الجمع بين الاستخارة واستشارة أهل الخبرة والتخصص، ولا ينبئك مثل خبير، وكل ذلك مما ندبت إليه الشريعة السمحة، فإذا حصل بعدها ما يكره يجد لنفسه تبريراً مريحاً، يخفف عنه قبول وطأة المكروه.

الثاني عشر: من لوازم مواجهة مواقف الحياة خيرها وشرها، البعد عن التشاؤم عند حصول المكروه، والواجب فتح أبواب التفاؤل والأمل على مصاريعها، والشريعة الإسلامية السمحة كرهت التشاؤم وندبت إلى التفاؤل، وهذا منهج شرعي أصيل. ومن أجمل المواقف المعبرة عن التفاؤل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: قوله لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو في

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٥٩).

غار ثور بمكة المكرمة والمشركون على مقربة منهم للظفر بهما، فقد حكى القرآن الكريم آية عظيمة قمة في التفاؤل وحسن الظن بالله تعالى: ﴿**إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾(١). وعلق محمد رشيد رضا رحمه الله في تفسيره المنار على هذا الموقف، مؤكداً أهمية استشعار المؤمن عظمة الله وقدرته وقت الشدائد، فقال: **"لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا"**، أي: لا تحزن؛ لأن الله معنا بالنصر والمعونة والحفظ والعصمة، والتأييد والرحمة، ومن كان الله تعالى معه بعزته التي لا تغلب وقدرته التي لا تقهر، ورحمته التي قام ويقوم بها كل شيء، فهو حقيق بألا يستسلم لحزن ولا خوف"(٢).

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) تفسير المنار (١٠/ ٣٦٩).

(٣)

الحذر من عداوة الشيطان

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحذر من عداوة الشيطان

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(١).

إن موضوعَنا مهم جداً؛ فهو يتعلق بمواجهة عدو خبيث عداوته متأصلة، بل قطع على نفسه العهد لإغواء الإنسان، وإرادة المهالك له، أسوة بحاله الشقية حين لم يستجب لطاعة ربه وخالقه سبحانه، فاستحق اللعنة، والخلود في جهنم وبئس المصير.

وقد بين كتابُ الله العزيز بياناً وافياً لمنشأ وأحداث عداوة الشيطان، والوسائل المناسبة للتصدي له، ولأهمية توضيح ذلك للقارئ الكريم، سأكتفي بالإشارة إلى أسماء بعض سور القرآن الكريم وأرقام الآيات التي تناولت هذا الموضوع، وتلخيص أبرز ما ورد فيها.

أولاً : بعض سور القرآن الكريم وأرقام الآيات التي أوضحت منشأ وأحداث عداوة الشيطان:

١. سورة البقرة: **(من الآية ٣٤ إلى الآية ٣٨).**

(١) النساء: ٧٦.

٢. سورة النساء: **(من الآية ١١٦ إلى الآية ١٢١).**

٣. سورة الأعراف: **(من الآية ١١ إلى الآية ١٨).**

٤. سورة الحجر: **(من الآية ٢٨ إلى الآية ٤٣).**

٥. سورة الإسراء: **(من الآية ٦١ إلى الآية ٦٥).**

٦. سورة طه: **(من لآية ١١٦ إلى الآية ١٢٧).**

٧. سورة ص: **(من الآية ٧١ إلى الآية ٨٥).**

ثانياً: ملخص أبرز ما ورد في الآيات السابقة:

هناك تشابه لمنشأ وأحداث عداوة الشيطان في مضامين الآيات المشار إليها، وهو من سمات القصص القرآني، ولكن بأساليب مختلفة وسياقات متنوعة، ولا شك أن لذلك حِكَمٌ وفوائد عظيمة، أشار إليها العلماء المختصون في مؤلفات خاصة. وإليكم أبرز ملخص ما أشارت إليه الآيات:

١. أمر الله تعالى الملائكة وإبليس بالسجود لآدم عليه السلام، فسجد الملائكة وامتنع إبليس عن السجود.

٢. سبب امتناع إبليس عن السجود هو الكبر بأنه خير من آدم، خُلق من نار وآدم من طين.

٣. من الأسباب الرئيسة لتسلط الشيطان على الإنسان الانحراف عن منهج الله تعالى، وإهمال شرعه، رغم تحذير الله تعالى عن مآلات الانحراف وخطورته.

٤. حَرم الله تعالى إبليسَ من البقاء في الجنة ونعيمها لعصيانه وتمرده.

٥. أعظم إغواء يحرص عليه الشيطان؛ الشرك بالله، فليس بعد الكفر ذنب.

٦. من استجاب لأماني الشيطان وولاه وتابع خطواته المؤدية للشرك فقد خسِر خسراناً مبيناً.

٧. الموفق من عرف الحق، وعلم عداوة الشيطان وأمانيه ووعوده الكاذبة قبل فوات الأوان.

٨. كتب الله على إبليس الذل والصغار في الدنيا والآخرة.

٩. تمادى إبليس في طغيانه، ووعد أن يتربص بذرية آدم ويغويهم في كل اتجاه، حتى يبعدهم عن طاعة ربهم، فيكونوا على شاكلته وحاله الشقية.

١٠. استحقاق إبليس العقاب الصارم من الله تعالى باللعن والطرد من رحمته في الدنيا والآخرة.

١١. حفظ الله عباده المخلصين من الإغواء لرعايته لهم وبطاعتهم له بامتثال أمره واجتناب نهيه.

١٢. من اتبع الشيطان من عباد الله واستجاب له في الإغواء فمصيرهم جهنم أجمعين.

١٣. التأكيد على عداوة الشيطان للإنسان.

١٤. استخدام أسلوب الوسوسة في تزيين المعاصي وإظهارها على غير حقيقتها.

١٥. الحرص والإسراع بالتوبة والاستغفار لمن وقع في المعاصي قبل فوات الأوان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٦. العناية التامة بالتمسك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وعدم الإعراض عنهما.

١٧. كل من أسرف وتمادى في عصيانه ولم يتب فيوم القيامة ينتظره عذاب أشد وأبقى.

قد يسألُ سائلٌ: ما العلاقة بين الشيطان المذكور في الآية موضوع المقال، وبين إبليس في الآيات السابقة من سور: البقرة والنساء والأعراف والحجر والإسراء وطه و ص؟ وبمعنى آخر: هل الشيطان هو نفسه إبليس؟
الجواب:

قال ابن عثيمين رحمه الله: "الشيطان هو إبليس، والشياطين يكونون من الجن والإنس؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾(١)، بل يكون الشيطان من غير العقلاء؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"الكلبُ الأسود شيطان"(٢).

---

(١) الأنعام:١٢٢.

(٢) صحيح مسلم: حديث رقم: (٥١٠).

من المهم جداً التنويه -قبل عرض تفسير الآية موضوع المقال- أنه يجب أن يستقر في عقل المسلم ووجدانه أن الشيطان أداة من أدوات الابتلاء في الدنيا، فلا يخفى أن غاية وجود الإنسان في الدنيا هي عبادة الله تعالى مع وجود الابتلاء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾(١). والإنسان متعبد بالابتلاء في خيره وشره، قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾(٢).

قال البغوي رحمه الله: "نختبركم بالشر والخير بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، وقيل: بما تحبون وما تكرهون، (فتنة) ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون، "وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ"(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لأَمْرِ المؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له"(١).

---

(١) الملك: ٢.

(٢) الأنبياء: ٣٥.

(٣) تفسر البغوي (٥/ ٣١٨).

ومن عظيم الابتلاء وشدته أن الشيطان مع الإنسان في كل أحواله، بل ويجري منه مجرى الدم، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الشَّيطانَ يَجري مِن ابنِ آدمَ مَجرى الدَّم"(٢). قال العيني رحمه الله: "قيل: هو على ظاهره، وأن الله، عز وجل، جعل له قوة على ذلك، وقيل: هو على الاستعارة لكثرة أعوانه ووسوسته، فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه، وقيل: إنه يُلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن، فتصل الوسوسة إلى القلب"(٣).

لذلك يجب على المسلم أن يكون حذراً ويقظاً ومحاسباً لنفسه ومجاهداً لها أشد الاجتهاد بالبعد عن الشهوات والشبهات، متبعاً ما أمره الله به مجتنباً ما نهى عنه، حتى يكون في منأى عن تسلط الشيطان وإغوائه، ويصدق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٩٩٩).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٧٤).

(٣) العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٥٢/١١).

وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١]. قال سفيان الثوري رحمه الله: "ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر"[٢].

وأبدأ مستعيناً بالله في تفسير الآية موضوع المقال، سائلاً الله تعالى بمنه وكرمه أن يلهما الصواب ويهدينا ويسددنا.

قال الطبري رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٣]، يعني بكيده: ما كاد به المؤمنين، من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان به؛ يقول: فلا تهابوا أولياء الشيطان، فإنما هم حزبه وأنصاره، وحزب الشيطان أهل وَهَن وضعف"[٤].

وقال السعدي رحمه الله: "والكيد؛ سلوك الطرق الخفية في ضرر العدو، فالشيطان وإن بلغ مَكْرُهُ مهما بلغ فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق ولا لكيد الله لعباده المؤمنين"[٥].

---

(١) النحل:٩٩.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٤).

(٣) النساء: ٧٦.

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٥٤٧).

(٥) تفسير السعدي (ص: ١٨٧).

وجميل قول القاضي عبد الجبار الهمداني رحمه الله: "إن المراد بأن كيد الشيطان ضعيف، أنه لا يقدر على أن يضر، وإنما يوسوس ويدعو فقط، فإن اتبع لحقته المضرة، وإلا فحاله على ما كان، فهو بمنزلة فقير يوسوس إلى الغني في دفع ماله إليه، وهو يقدر على الامتناع، فإن وافقه فليس ذلك لقوة كيد الفقير، لكن لضعف رأيه واتباعه"(١).

الملامح التربوية التي تُسهم بعون الله تعالى في مواجهة عداوة الشيطان:

أولًا: إن عصيان الشيطان لربه سبحانه وتمرده الصارخ بامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام كما أمر الله تعالى كان السبب الرئيس لطرده من الجنة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾(٢).

(١) المنية والأمل (١/ ١٣٠)، وانظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ترجمة القاضي عبد الجبار (١٧/ ٢٤٥).

(٢) الأعراف: ١١- ١٣.

ثانيًا: إن معصية الله تعالى شؤم ووبال على العبد في جميع أحواله، ويزداد الأمر سوءًا بالمجاهرة والإصرار عليها عنادًا وتكبُّرًا، كما هو حال إبليس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[١]. قال الطبري رحمه الله: "ومن يعص الله ورسوله فيما أَمَرا أو نهيا ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[٢]، يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدى والرشاد"[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[٤]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: وبغَّضَ إليكم الكفر والفسوق، وهي: الذنوب الكبار، والعصيان؛ وهي: جميع المعاصي"[٥].

ثالثًا: من تمادى في عصيانه واستمر في طغيانه، ولم يستشعر نِعَم الله عليه، وقابلها بالشكر القولي والعملي، فقد استوجب عقاب ربه بحرمانه مما

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧١).

(٤) الحجرات: ٧.

(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنعم عليه؛ لأن المعاصي تزيل النعم، وهذا حال إبليس، فقد حُرم مما كان فيه من النعيم الذي أنعمه الله عليه بسبب عصيانه وطغيانه، فأبدله الله صَغارًا، قال تعالى: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[١]. قال السعدي رحمه الله: ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾؛ "أي: المهانين الأذلين، جزاءً على كبره وعجبه بالإهانة والذل"[٢].

رابعًا: لما وصل طغيان إبليس مداه عنادًا وتكبرًا، استحق اللعن؛ وهو الطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[٣]. قال ابن عاشور رحمه الله: "إن اللعنة عليه في الدنيا إلى أن يلاقي جزاء عمله، فذلك يومئذٍ أشد من اللعنة"[٤].

خامسًا: لم يهدأ لإبليس بال بعد طرده من رحمة الله تعالى، فاستنفر كل طاقاته كما هو حال أهل الفسق والمعاصي والفجور، لا يريدون الخير

---

(١) الأعراف: ١٣.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٨٤).

(٣) الحجر: ٣٤، ٣٥.

(٤)التحرير والتنوير (١٤/ ٤٧).

للآخرين أسوة بحالهم الشقي والعياذ بالله، فيسعون جاهدين لإغواء غيرهم حقدًا وكراهية عليهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(١). فقال الله سبحانه: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾(٢).

سادسًا: يجب أن يكون الإنسان فَطِنًا مراقبًا لحاله، معتبرًا بغيره فيما يراه من سُبُل الغواية التي ينتهجها أهل الفسق والضلال، ويُزينون الباطل، ويُلبسونه لباس الخير والحياة السعيدة للناس، وهم بخلاف ذلك؛ بل يتصيَّدون ويتربصون بهم الدوائر داسِّين السم في العسل حتى يقع غيرهم في شباكهم، ويسير في ركابهم، والسعيد مَنِ اتَّعَظ بغيره.

سابعًا: يجب أن يستقر في ذهن المسلم أن كل مجالات الغواية التي قد يقع الإنسان في أوحالها وأعظمها الشرك بالله، وانتشار الفواحش والزنا

(١) الأعراف: ١٦، ١٧.

(٢) الإسراء: ٦٣، ٦٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشرب الخمور، وغير ذلك من العداوات، كل ذلك من عمل الشيطان ليصد عن سبيل الله، ويفسد الناس ويوردهم المهالك، أسوة بحاله الشقي، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾(١).

قال الطبري رحمه الله: "هذه الأعمال هي: من تزيين الشيطانِ لكم، ودعائه إياكم إليه، وتحسينه لكم، لا من الأعمال التي ندبكم إليها ربُّكم، ولا مما يرضاه لكم؛ بل هو مما يسخطه لكم"(٢). وقال ابن عثيمين رحمه الله: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، يعني أن هذا العمل من عمل الشيطان، أضافه إلى الشيطان؛ لأنه أوحى به وأمر به الإنسان"(٣).

ثامنًا: لما كان ذِكر الله تعالى، وأداء الصلاة من أهم العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه عز وجل، وفي الوقت نفسه من أقوى ما يرد كيد

---

(١) المائدة:٩٠- ٩١.
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٤).
(٣) ينظر: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٥٠٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشيطان ويصرف أذاه، حَرِص الشيطان حرصًا شديدًا على صَد المسلم عنهما بشتى الوسائل الخبيثة، وقد نبَّه القرآن الكريم لذلك، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[١]. وفي موضع آخر أكَّد القرآن الكريم على خطورة ما يترتب عليه الصدُّ والإعراض عن ذلك، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٢].

قال ابن باز رحمه الله: "من يغفل، ويعرض عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يُقيِّض له الشيطان- نسأل الله العافية- من غفل عن ذكر الله، وعن قراءة القرآن، وعن طاعة الله من الصلوات، وغيرها؛ قَيَّض الله له الشياطين حتى تصُدَّه عن الحق، وحتى تلهيه في الباطل -نعوذ بالله- ومن قام بأمر الله، وأدى حق الله، واستعمل نفسه في ذكر الله، وطاعة الله، عافاه الله من الشيطان، وحفظه من الشياطين، نسأل الله السلامة".

---

(١) المائدة: ٩١.

(٢) الزخرف: ٣٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والواجب على المسلم مجاهدة نفسه وترك الغفلة المسببة لمدخل الشيطان عليه في الصد عن ذكر الله وعن الصلاة؛ وأن يقابل ذلك بطلب الاستعانة بالله في الإكثار من ذكره، وهي وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: "أوصيكَ يا معاذُ، لا تدَعنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عبادتِكَ"[١].

وأن يحرص أشد الحرص بالمحافظة على الصلوات، استجابة لقول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٢].

تاسعًا: المتأمِّل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٣] قد يقول: كيف يُغوي الشيطانُ الإنسانَ وهو ضعيف؟ فيمكن القول أيضًا أن الله تعالى قال: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[٤]، وهذا يعني أن كليهما ضعيف، ولكن الفيصل في الغلبة والانتصار يأتي من الاعتصام بالله والالتجاء به سبحانه، بكثرة ذكره والالتزام بشرعه أمرًا ونهيًا.

---

(١) الألباني، صحيح أبي داود، (١٥٢٢).

(٢) البقرة: ٢٣٨.

(٣) النساء: ٧٦.

(٤) النساء: ٢٨.

عاشرًا: من أهم وأعظم ما يصُدُّ عداوة الشيطان ويدحر كيده ما أرشد إليه الله تعالى بالاستعاذة منه. قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١). وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾(٢). قال السعدي رحمه الله: "أي وقت، وفي أي حال ﴿يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾؛ أي: تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه؛ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه، فإنه "سَمِيعٌ" لما تقول، "عَلِيمٌ" بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته"(٣).

الحادي عشر: عداوةُ الشيطان للإنسان ظاهرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٤). قال ابن كثير رحمه الله: "بيَّن الله تعالى عداوة إبليس لابن آدم، فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ أي: هو مبارز لكم

(١) الأعراف: ٢٠٠.

(٢) المؤمنون: ٩٧، ٩٨.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣١٣).

(٤) فاطر: ٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؛ أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدوُّ المبين"(١).

الثاني عشر: كلُّ من اتَّخذ الشيطان وليًّا، وسار في ركابه، فقد خسر دنياه وآخرته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾(٢). قال ابن عثيمين رحمه الله: وتولِّي الشيطان يكون بطاعته، فمن أطاع الشيطان وعصى الرحمن، فقد خسر خسرانًا مبينًا، والخسران ضد الربح؛ بل إن الخاسر هو الذي لم يحصل ولا على رأس ماله، فهو لم يربح بل خسر.

الثالث عشر: يسلك الشيطان طرقًا عجيبة لإغواء الناس وتزيين سوء أعمالهم، فإن ظفر بأحدهم واستجاب له، فلا يهنأ حتى يلقى نفس مصيره من اللعن والخلود في نار جهنم وبئس المصير، وقد نَبَّه القرآن الكريم لذلك، فقال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٣).

(٢) النساء: ١١٩.

جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾[١]. قال القرطبي رحمه الله: "يعدهم أباطيله وتُرَّهاته من المال والجاه والرياسة، وأن لا بعث ولا عقاب، ويوهمهم الفقر حتى لا ينفقوا في الخير، ويُمنِّيهم كذلك، وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا؛ أي: خديعة"[٢].

الرابع عشر: نبَّه القرآن الكريم المؤمنين بخاصة والناس بعامة على مكر الشيطان وتدرُّجه في الإغواء حتى يصطاد فريسته ويضمها إلى حزبه في نار جهنم، وعبَّر عنها بالخُطُوات، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣]. وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤]. قال الطبري رحمه الله: "والمعنى في النهي عن اتباع خُطواته، النهي عن طريقه وأثره

---

(١) النساء: ١٢٠، ١٢١.

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٣٩٥).

(٣) النور: ٢١.

(٤) البقرة: ١٦٨، ١٦٩.

فيما دعا إليه، مما هو خلاف طاعة الله تعالى ذكره"[١]. وقال السعدي رحمه الله: أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر، وفسوق، وظلم"[٢]. وقال ابن عثيمين رحمه الله: "كلُّ شيء حَرَّمه الله فهو من خُطوات الشيطان سواء كان عن استكبار، أو تكذيب، أو استهزاء، أو غير ذلك؛ لأنه يأمر به، وينادي به، ويدعو إليه"[٣].

الخامس عشر: التعبير القرآني بخُطوات الشيطان أنه يتدرج ويسلك مسالك شتى في الإغواء حسب كل حالة، وحسب كل شخص، وقد ذكر ابن القيم سبع عقبات يتدرَّج فيها الشيطان للإغواء، فقال رحمه الله: "إن الشيطان يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها، وهي:

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه وبصفات كماله.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٠١).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٠).

(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٢٣٤).

العقبة الثانية: عقبة البدعة، إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به كتابه، وإما بتعبُّد بما لم يأذن به الله.

العقبة الثالثة: عقبة الكبائر فإن ظفر به فيها زينها له، وحسَّنَها في عينه، وسوَّف به، وفتح له باب الإرجاء.

العقبة الرابعة: عقبة الصغائر، فَكَالَ لَهُ مِنْهَا بِالْقُفْزَانِ، وقال له: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر. (الْقُفْزَان: الحواجز والموانع).

العقبة الخامسة: عقبة المباحات التي لا حرج على فعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات.

العقبة السادسة: عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة عن الطاعات، فأمره بها وحسنها في عينه وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله بها عما هو أفضل منها.

العقبة السابعة: عقبة تسليط جنده عليه بأنواع من الأذى باليد واللسان والقلب على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورَجْله، وهي تسمى عبودية المراغمة، ولا ينتبه إليها إلا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولو البصائر التامة، فمن تعبَّد الله بمراغمة عدوه، فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر"[١].

السادس عشر: إن أعمال الناس تقوم على إراداتهم واختياراتهم، فالقرار في الإقدام، أو الإحجام بيدهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢]. قال الطبري رحمه الله: "أي: قولنا لهم يوم القيامة: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٣]، بما أسلفتْ أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم في الدنيا، وبأن الله عَدْل لا يجورُ، فيعاقب عبدًا له بغير استحقاق منه العقوبةَ، ولكنه يجازي كل نفس بما كسبت، ويوفِّي كل عامل جزاء ما عمل"[٤].

السابع عشر: ينشط الشيطان ويجد بغيته في البيئات الفاسدة، عندما يكون الإنسان في حالة من الضياع والبعد عن الله، فمن فقد الصلة بالله تعالى وضعفت علاقته بربه سبحانه، فأصبح لا يعرف معروفًا، ولا ينكر

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (١/ ٢٣٧-٢٤٢).

(٢) آل عمران: ١٨٢.

(٣) الحج: ٢٢.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٤٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

منكرًا؛ هانت مهمة الشيطان ووجد ضالته، أما البيئات الصالحة فهي عامرة بذكر الله تعالى وفي رعايته، فلا يتمكن الشيطان من التسلُّط عليهم، وكلما كان الإنسان لله أقرب، كان الشيطان منه أبعد، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(١). قال السعدي رحمه الله: "إن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها، وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلًّا قابلًا؛ بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة"(٢).

الثامن عشر: إن المؤمنَ التقي محفوظٌ بحفظ الله من الشيطان وشَرَكِه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٣). قال الطبري رحمه الله: "إن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم. أما

(١) الأعراف: ٥٨.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٩٢).

(٣) النحل: ٩٩.

غير المؤمنين فهو وليُّهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١]"[٢]. قال البغوي رحمه الله: "أي: قرناء وأعوانًا للذين لا يؤمنون وقال الزجاج: سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[٣]"[٤].

التاسع عشر: يُشاع عند بعض الناس أن كيدَ الشيطان أضعفُ من كيد النساء؛ لما ورد في بعض كتب التفسير لمعنى قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٥]. وقد سُئل سماحة الشيخ ابن باز عن ذلك، فأجاب رحمه الله: "هذا حكاه الله عن صاحب يوسف العزيز ﴿كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ هذا نسبي، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٦] نسبي، بالنسبة إلى مَن استعان بالله، وتعوَّذ بالله، واعتصم بالله؛ فكيد الشيطان ضعيف، وأيضًا سُئل سماحة الشيخ

(١) الأعراف: ٢٧.
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٤).
(٣) مريم: ٨٣.
(٤) تفسر البغوي (٣/ ٢٢٣).
(٥) يوسف: ٢٨.
(٦) النساء: ٧٦.

صالح الفوزان حفظه الله عن ذلك، فأجاب: الله أعلم؛ النساء لهن كيد، والشيطان له كيد، وقد يكون كيد النساء أحيانًا أقوى من كيد الشيطان، وقد يكون كيد الشيطان أحيانًا أقوى من كيد النساء، هذا بحسب المواقف، واختلاف المواضع". وسُئل فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله عن ذلك فأجاب فضيلته: سبحان الله! ضع كل جملة في سياقها يظهر لك المعنى، أما بالنسبة لكيد الشيطان، فإن الله عز وجل قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(١)، فكيد الشيطان هنا في مقابل كيد الله فهو ضعيف فعلًا؛ لأنه في مقابل كيد الله عز وجل؛ لكن النساء في قصة يوسف عليه السلام ذُكِر كيدهن في مقابل كيد الرجال، ونَعَمْ، فإن الرجال لا يستطيعون أن يجاروا النساء أبدًا في هذا الكيد.

العشرون: جواز لعن الشيطان، فقد بيَّن سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا حرج في لعنه، ولكن التَّعوُّذ بالله أحسن، التَّعوُّذ بالله من الشيطان الرجيم أفضل، وإن لعنه فلا بأس، فقد لعنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم: جاء في الحديث الصحيح أنَّ الشيطان تفلَّتَ عليه وهو يُصلي، فقال له: ألعنُك

(١) النساء: ٧٦.

بلعنة الله، فإذا لعنه فلا بأس، وإن استعاذ بالله من شرِّه فذلك أفضل، وكلاهما جائزٌ.

ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يقولَنَّ أحدُكم: لعن اللهُ الشيطانَ، فإنه إذا سمعها تعاظَم حتى يصيرَ كالجبلِ، وليقلْ: أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، فإنه إذا قالها تضاءلَ وتصاغر"(١).

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: من وضع الشيء في غير موضعه ذم الشيطان؛ إذا الإنسان أذنب؛ ذُم نفسك، تُب إلى الله، واستغفر الله بدل لعن الشيطان وسبه، ارجع إلى نفسك وَلُمْها.

الواحد والعشرون: الناظرُ والمتأمل والمتدبِّر في الأذكار الشرعية يجدها هَيَّأت للإنسان أنجع الوسائل المناسبة لمواجهة عداوة الشيطان ودحره، وهي تعُمُّ كل حركات الإنسان وسكناته في يومه وليلته، ونومه ويقظته، وخروجه من المنزل وعودته، ودخول المسجد وخروجه، ومأكله ومشربه، ودخول الخلاء وخروجه، وحله وترحاله، وحتى قضاء حاجته وشهوته من أهله، فلكل حال أذكار شرعية مناسبة لها واردة بنص القرآن الكريم والسنة النبوية

---

(١) الألباني، صحيح أبي داود، رقم: (٤٩٨٢).

الشريفة، وهي ثابتة ومحفوظة في مظانها، وأشهرها: "كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله"، وتُعد الأذكار بمثابة وصفة طبية من طبيب ماهر خبير بأدواء الشيطان وخطواته، فمن وُفِّق للمحافظة عليها، فقد نال خيرًا كثيرًا، وعصمه الله تعالى من الشيطان، ومن فَرَّطَ وتساهل وَغَفل عن ذلك فقد أعطى الشيطان فرصة لإغوائه، فلا يلومَنَّ إلا نفسه.

الثاني والعشرون: من أعظم وأخطر ما يسعى إليه الشيطان وأعوانه من ذريته، ومن شياطين الإنس؛ تفكيك المجتمع، ونشر العداوة والبغضاء والكراهية، والتناحر بينهم حتى تَعُم الفوضى وتشيع الفاحشة؛ بل من أولوياته تفكيك الأسرة الواحدة، وإيجاد المنازعات بين الزوجين والأقارب والأرحام بمختلف درجاتهم، ويضع الحوافز المعنوية لأعوانه لمن يصل إلى درجة التفريق بين الرجل وأهله. فقد ثبت في الحديث الشريف، قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ إبليسَ يضعُ عرشَه على الماء، ثم يبعثُ سراياه، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً، يجيءُ أحدُهم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ ما صنعتَ شيئًا، ويجيءُ أحدُهم فيقولُ: ما تركتُه حتى فرَّقتُ بينَه وبين أهلِه، فيُدْنِيه منه، ويقولُ: نعم أنتَ!"(١). ومن تأمَّل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨١٣).

مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(١) يتأكّد مدى حرص الشيطان على إيقاع العداوة بين الناس في كافة المجالات؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "إذا كُنْتُمْ ثَلاثَةً، فلا يَتَناجَ رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ حتَّى تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ، أجْلَ أنْ يُحْزِنَهُ"(٢). فليحذر الناس من كيد الشيطان ومكره في العداوة والبغضاء وإشعال الفتن في كافة علاقاتهم، وقد تكون لأتفه الأسباب، ويقع بسببها خصومات ومظالم وعدوات خطيرة وعنيفة، تتمدد سنوات طويلة، والأولى المبادرة بالعفو والتسامح والصلح والاجتهاد في صد كل أبواب المنازعات من بدايتها قبل تفاقمها، والأولى الرجوع لأهل العلم والاختصاص في معالجة ما يظهر من مشكلات في أوساط المجتمع، وفي محيط الأسرة، والأقارب، والأرحام.

الثالث والعشرون: العناية بالعلم الشرعي والحرص عليه من أهل العلم الثقات، من أهم ما يُعين المسلم على معرفة الأساليب الشرعية الصحيحة من القرآن والسنة لمواجهة عداوة الشيطان، فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟! ومن التوجيهات النبوية المهمة، قول صلى الله

---

(١) المجادلة: ١٠.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٢٩٠)، صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٨٤)

عليه وسلم: "إذا قرأ ابنُ آدمَ السَّجدةَ فسجدَ اعتزلَ الشَّيطانُ يبكي يقولُ: يا ويلَه؛ أُمرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ فسجدَ؛ فلَه الجنَّةُ، وأُمِرتُ بالسُّجودِ فأبيتُ؛ فليَ النَّارُ"(١). قال القرطبي رحمه الله: "وويل: كلمة تُقال لمن وقع في هلكة، وبكاء إبليس المذكور في الحديث: ليس ندمًا على معصيته، ولا رجوعًا عنها، وإنما ذلك لفرط حسده وغيظه وألمه بما أصابه من دخول أحد من ذرية آدم عليه السلام الجنة ونجاته، وذلك نحو مما يعتريه عند الأذان، والإقامة، ويوم عرفة"(٢).

الرابع والعشرون: عندما تصل الغواية بالإنسان مداها، ويصبح الشيطان متسلطًا عليه في شؤونه كلها، ينحرف انحرافًا كاملًا في أفكاره وخواطره وأفعاله، فلا يرى أمامه إلا أنفاقًا مظلمة من الضياع تَعُج بالفسق والفجور، وكافة المحرَّمات التي حَرَّمها الله تعالى عليه، زيّنها الشيطان له فرآها حسنة. وقد تصل درجة الغواية والعياذ بالله إلى أن يصبح الشيطان معبوده الأول؛ مؤتمرًا بأمره ومنتهيًا بنهيه، ومن أعظم الطَّوَام ظهور جماعة تُسمي نفسها: (عبدة الشيطان)، انتكاسة ما بعدها انتكاسة! هذا حال

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٨١).

(٢) المفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (١/ ٢٧٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنسان إذا لم يسترشد بنور الله تعالى؛ فإنه يضل ضلالًا مبينًا، ومن لم يجعل له نورًا فما له من نور. وقد حذَّر القرآن الكريم من عبادة الشيطان، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(١). قال السعدي رحمه الله: "أي: لا تطيعوه وهذا التوبيخ، يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي؛ لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه"(٢).

الخامس والعشرون: يَظُن بعض الناس أن هناك أشخاصًا لهم قدرة على مؤخاة الجن وتسخيرهم في بعض الأعمال، ويزعمون بأنه: "جني مسلم"، وتحدث على يديهم أشياء خارقة للعادة، وقد سُئل سماحة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ما حكم الذهاب إلى بعض الرقاة الذين يقولون: إنهم يستعينون بالجن المسلم، أو بالملائكة؟ فقال سماحته: ما شاء الله الملائكة تخدمهم! الجن المسلم تخدمهم على طلبهم! هذا كله مكر من

---

(١) يس: ٦٠.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٩٨). ولمزيد من التعرف على جماعة عبدة الشيطان، انظر: فرقة "عبَدة الشيطان"، منهجها، واعتقادها، وكيفية إنقاذ من وقع في براثنها (https://islamqa.info/ar/133898).

الشيطان، ولا يجوز هذا، لا يستعين إلا بالله، لا يستعين بالغائب، ولا بالميت، وإنما يستعين بالله، أو بالحي الحاضر الذي يقدر على إعانته، والجن ما سخروا إلا لسليمان عليه السلام ما سخروا الجن لغير سليمان.

السادس والعشرون: إن الشيطان يتربَّص بالإنسان الدوائر ويتحيَّن الفرص المواتية لإغوائه، وهناك مداخل للشيطان، وأسلحة له، فينبغي للمسلم أن يؤصدها بالكلية، فلا يعطي مجالًا للشيطان إلحاق الضرر به، ومن أهم هذه المداخل، الكبر وعُجْب الإنسان بنفسه، يجعله يزدري الناس، ويقلل من شأنهم، وكذلك الغفلة عن أبواب الخير من العبادات وما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، وهناك أيضًا مداخل أخرى، منها:

* الغضب، فعندما يغضب الإنسان يصبح في حالة من عدم التركيز فيتسلَّط الشيطان عليه.

* الشبع؛ فإنه يُقوِّي الشهوة، ويُشغِل عن طاعة الله.

* العجلة وترك التثبُّت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* حُب المال؛ فمتى تمكَّن من القلب قد يحمل الإنسان على طلبه من غير وجهه، ويؤدي به إلى البُخْل، ومنع الحقوق الواجبة.

* سوء الظنِّ بالمسلمين، فإنَّ مَنْ حكم على مسلم بسوء ظَنِّه احتقره، وأطلق فيه لسانه.

* عموم الجوارح؛ كالعين، واليد، والرجل، والأذن، فإذا لم يتَّقِ العبدُ ربَّه فيها، فقد تكون من أسرع المداخل للشيطان والعياذ بالله(١).

السابع والعشرون: هناك عدوٌّ آخر لا يقل خطره عن الشيطان، وهو النفس الأمَّارة بالسوء، وهي أقل مراتب النفس الإنسانية ومكمن ضعفها، فخطرها عظيم، وقد يفوق خطرها عداوة الشيطان، والطامة الكبرى إذا اجتمعا كلاهما على الإنسان ولم يشعر بخطرهما ولم يجاهد نفسه باتخاذ الوسائل الشرعية المناسبة في الأوقات المناسبة للتصدي لهما وإيقاف خطرهما، قبل أن يتمكنا منه ويلحقا به الأذى الذي قد لا ينفك منه إلا

(١) اللجنة العلمية في مكتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في جنوب بريدة، موقع الألوكة.

وقد لاقى ربه عز وجل خاسرًا دينه ودنياه وآخرته، نسأل الله السلامة والعافية[١].

الثامن والعشرون: في المشهد الأخير للشيطان يوم القيامة قبل المغادرة إلى جهنم وبئس المصير، وعندما يُقضى الأمر في مشهد مهيب يوم العدل بين يدي الله تعالى، يخطب ويعلن الشيطان اعترافه بجريمته، فيعلن أمام الخلائق أن الله "جل جلاله" صادق، وأنه كاذب، وأنه لا لائمة عليه، وإنما الملامة على مَن اتبعه؛ فيندم حينها كلُّ من تبعه، ولكن حينذاك لا ينفع الندم! وقد صوَّر القرآن الكريم هذا المشهد أعظم تصوير بأروع بيان، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عمَّا خطب به إبليس لعنه الله أتباعه، بعدما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم

(١) انظر: مقال: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾[العلق: ٦] على صفحة الكاتب، موقع الألوكة.

(٢) إبراهيم: ٢٢.

www.alukah.net

إبليس لعنه الله حينئذٍ خطيبًا ليزيدهم حزنًا إلى حزنهم وغبنًا إلى غبنهم، وحسرة إلى حسرتهم"[١].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(٤)

لا أحد أحسن حكماً من الله

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا أحد أحسن حكماً من اللّه

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[١].

تمهيد:

إن المتأملَ بصفاء فكره وطهارة فطرته يتيقن أن شريعة الله تعالى متصفة بالجمال المبهر، والكمال المطلق في كل شؤونها؛ لأنها من لدن حكيم خبير، ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٢]. قال الطبري رحمه الله: "أحكم الله آياته من الدَّخل والخَلَل والباطل، ثم فصَّلها بالأمر والنهي"[٣]. وهو القائل عز وجل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[٤]. قال

(١) المائدة: ٥٠.
(٢) هود: ١.
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٢٢٧).
(٤) المائدة: ٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ابن باز رحمه الله: "هذه أكبر نِعَم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه"، وقال تعالى: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ**﴾(١). قال السعدي رحمه الله: "هذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره، وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأنَّ نَص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب والأرواح والدنيا والآخرة، وبها السعادة الدائمة والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، فقال: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ**﴾ على من ترك التقوى، وآثر اتباع الهوى"(٢).

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء"[(١)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: "قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام، لكن هذا الاستفهام بمعنى النفي، إذ إن معناه: لا أحسن من الله حكمًا، ولكن يأتي النفي بصيغة الاستفهام ليكون أبلغ، ويكون مشربًا بالتحدي، كأن المتكلم يتحدى ويقول: أروني حكمًا أحسن من حكم الله، لا أحد أحسن من الله حكمًا؛ لأن حكمه جلَّ وعلا مبني على علم بما يصلح العباد، ومبني على رحمة بما ينفع العباد، لا يمكن أن يحكم على عباده تبارك وتعالى بشيء يكون ضررًا، أو عاقبته ضررًا، لا يمكن هذا أبدًا؛ لأننا نعلم أن حكمه صادر عن علم، وحكمة، ورحمة، ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يوقنون بالله، وبأسمائه، وصفاته، وبما تقتضيه هذه الأسماء والصفات؛ هؤلاء لا يرون حكمًا أحسن من حكم الله، أما من عنده ضعف في اليقين، فإنه قد يرى أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، لذلك

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١١٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نقول: إن تَبيُّن حسن حكم الله إنما يكون للموقنين، أما ضعفاء اليقين فإنهم لا يرون أن حكم الله أحسن الأحكام، بل ربما يعتقدون أن حكم الله قد مضى عليه الدهر، واختلفت الأمة واحتاجت إلى حكم جديد.

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: لأول وهلة يُستنبط من الآية موضوع المقال؛ أنه لا أحد البتة أحسن حكماً من الله تعالى خَلْقاً وتَقْدِيراً، وكل ذلك في غاية الإحكام، ويجب أن يكون ذلك يقيناً راسخاً في وجداننا، وأعماق قلوبنا لا يخالجه أدنى شك، ويوكده قوله تعالى: ﴿**أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ**﴾(١). قال القرطبي رحمه الله: "أي: أتقن الحاكمين صنعاً في كل ما خلق، وقيل: بأحكم الحاكمين قضاء بالحق، وعَدْلاً بين الخلق"(٢). وعليه؛ فإن الآية موضوع المقال يجب أن تكون قاعدة راسخة عند كل مسلم. قال ابن عثيمين رحمه الله بعد تفسيره للآية موضوع المقال: "إذًا: القاعدة: (**لا أحد أحسن حكمًا من الله أبدًا**).

---

(١) التين: ٨.

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: تُوجه الآية -موضوع المقال- إلى أهمية الالتزام بشرع الله تعالى، ونَبْذِ غيره من القوانين البشرية الوضعية، والأعراف، والعادات، والتقاليد البائدة، وقد عَبّر القرآن الكريم عن ذلك أروع تعبير: ﴿**أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾. قال ابن كثير رحمه الله: "إنكار من الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم"(١). قال ابن عثيمين رحمه الله: "حكم الشرع مبني على علم، وما سواه مبني على جهل، وهذا في غاية ما يكون من التوبيخ والتقريع أن تبتغي حُكْمًا جاهليًا وتَدع حُكْم العليم الخبير، ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾، وبه نعرف أن من ابتغى حُكمًا غير حكم الله فهو من أضل عباد الله، وأسْفه عباد الله، وأخسر عباد الله، وأنه لن تصلح له أمور دينه ولا دنياه والعياذ بالله".

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١١٩).

ثالثاً: إن أحكام البشر وتشريعاتهم وإن تم إتقانها وتفننوا في إعدادها من قِبَلِ خُبراء ومُختصين على أرقى درجات العلم فإنها قاصرة لا محالة، وإن بدا نفعها فيكون مؤقتاً محدوداً، ولا ترقى بحال إلى حكم الله تعالى؛ أحكم الحاكمين، ولا يُوقن بذلك إلا أهل الإيمان واليقين والتقوى، قال ابن عثيمين رحمه الله: "لأن حكمه جلَّ وعلا مبني على علم بما يصلح العباد، ومبني على رحمة بما ينفع العباد، لا يمكن أن يحكم على عباده تبارك وتعالى بشيء يكون ضررًا، أو عاقبته ضررًا، أبدًا لا يمكن؛ لأننا نعلم أن حكمه صادر عن علم وحكمة ورحمة"(١). وقال محمد رشيد رضا رحمه الله: "أن حكمَ الله عادل؛ وحكمه تعالى أحسن الأحكام لأهل الإيمان والإسلام؛ لأن حكمه هو العدل، الذي يستقيم به أمر الخلق، وأما حكم الجاهلية فهو تفضيل القوي على الضعيف، الذي يمكن الظالمين الأقوياء من استذلال، أو استئصال الضعفاء، وهو شر الأحكام المخرب للعمران، المفسد للنظام"(٢).

---

(١) تفسير العثيمين (٤٨٧/١).

(٢) تفسير المنار (٦/ ٣٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابعاً: هناك علاقة قوية بين اليقين والعلم، فلا يصل الإنسان إلى درجة اليقين بأن حكم الله هو أحسن الأحكام إلا بتوفيق الله تعالى، ثم بما لديه من علم، فقلة العلم والجهل بالله تعالى وشريعته سبب للانحراف عن الصراط المستقيم. قال البيضاوي رحمه الله: "﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ هم الذين يتدبرون الأمور، ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكماً من الله سبحانه وتعالى"[(١)]. وقال الشوكاني رحمه الله: "لا أحسن من حكم الله عند أهل اليقين لا عند أهل الجهل والأهواء[(٢)]. وقال ابن عثيمين رحمه الله: "كلما كان الإنسان أشد يقينًا، كان بيان حسن أحكام الله عنده أكثر وأشد، وإذا شئت أن تعرف هذا فانظر إلى العلماء المحققين كيف يستنبطون من الأحكام الشرعية ما تقتنع به العقول؛ لأنهم موقنون بأن حكم الله أحسن الأحكام فيفتح الله عليهم"[(٣)]. وأستطيع القول: من كان بالله أعلم كان به أعرف، وكلما ازداد الإنسان علماً ازداد يقيناً بالله تعالى وبحكمه

(١) تفسير البيضاوي (٢/ ١٣٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٦).

(٣) تفسير العثيمين (١/٤٩١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وشرعه، والعكس صحيح، وصدق الله تعالى القائل: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾(١).

خامساً: هناك آيات كريمات واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار تؤكد أن الحكم لله وحده لا شريك له، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، أورد الشنقيطي رحمه الله جملة منها:

الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿**إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٢).

الآية الثانية: وقال عز وجل: ﴿**وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾(٣).

الآية الثالثة: وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾(١).

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) يوسف: ٤٠.

(٣) الشورى: ١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية الرابعة: وقال جل جلاله: ﴿**أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا**﴾(٢).

سادساً: يجب التنبيه لأمر مهم للغاية، وهو: التفريق بين الأنظمة والأحكام والتشريعات الوضعية المنظمة لشؤون الحياة، وبين الأنظمة والأحكام والتشريعات المخالفة لصريح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وجميل تعليق الشنقيطي رحمه الله حول هذا الموضوع: "أن النظام قسمان: إداري، وشرعي، أما الإداري: الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها؛ فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة، فمن بعدهم، وقد عمل عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ككتبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط، ومعرفة من غاب ومن حضر. فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تُفعل لإتقان الأمور مما لا يخالف الشرع لا بأس به، كتنظيم شؤون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد

---

(١) القصص: ٧٠.

(٢) الأنعام: ١١٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشرع من مراعاة المصالح العامة، وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض، كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث، وكدعوى أن تعدد الزوجات ظُلم، وأن الطلاق ظُلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان، ونحو ذلك، فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السماوات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى"(١).

سابعاً: يوجد متأثرون من أبناء المسلمين بالثقافة الغربية ووصلوا غاية الانبهار بما وصلت إليه من تقدم ورقي في العصر الحديث، فهم يرون أن الإسلام لا يناسب العصر الحديث؛ بل يُعيق التقدم في مجالات الحياة الحيوية، وهذا من الغفلة، وقلة التوفيق، والجهل بالإسلام، والحضارة الإسلامية. قال الشنقيطي رحمه الله: "هذا ممن طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي"(٢). وإليكم تفصيل ابن عثيمين رحمه الله لهذه القضية المهمة:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٦٠).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"أن حكم الله وإن تراءى لبعض الناس أنه ليس بصالح، أو أنه يُعيق التقدم الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو غير ذلك فإنه يكون خاطئًا؛ لأن العبرة بالنهاية، قد يتراءى للإنسان أن هذا الحكم لا يصلح الآن، لكن في النهاية لا شك أنه هو الصالح، وأن علينا أن نصبر وستكون العاقبة حميدة، مثلًا: الآن كثير من الناس يرون أنه لا بأس بالتعامل بالربا؛ لأنه على زعمهم يُنمي الاقتصاد من الآخذ والمعطي، فنقول: هذا وإن تراءى لكم لكن فيه مفاسد كثيرة، وانظروا إلى الدول التي تستعمل هذا ماذا كان حالها؟ تجد أن فيهم طبقات متباينة غاية التباين، هذا من أفقر الناس ربما يأكل التراب من الجوع والثرى من العطش، والآخر مثرٍ ثراءً زائدًا، فهذا الاختلاف العظيم في الطبقات كل ذلك بسبب التعامل المحرم، لكن لو أن الناس مشوا على ما سنه النبي صلي الله عليه وسلم لأمته لكان الاقتصاد متوازنًا، تجد الغني لا يثري ثراءً فاحشًا، ويعطي الفقير من الزكاة، وتكون الحال بين الغني والفقير متقاربة، لا يطغى أحد على أحد"(١).

---

(١) تفسير العثيمين (١/٤٨٩).

(٥)

لا يستوي الخبيث والطيب

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يستوي الخبيث والطيب

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1].

تمهيد:

إن ميدانَ الحياة صاخب، وفيه الخبيث والطيب، ولكل منهما أنصاره وأعوانه، والإنسان لضعفه البشري قد ينساق وراء الخبيث لتزيين الشيطان وأعوانه له، ويُلْحِق الضرر بنفسه في دينه ودنياه، ومن رحمة الله تعالى بعباده جاء التنبيه إلى عدم الاستواء بين الخبيث والطيب، وخطورة الانسياق وراء الخبيث وإن كَثُر أتباعه ومريديه، فالأولى بالإنسان العاقل قبل الوقوع في براثن الخبيث، ويندم ولات ساعة مندم؛ أن يلزم تقوى الله تعالى وطاعته، فهي السبيل لنيل الفلاح في الدنيا والآخرة بتوفيق الله وعونه، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾[2]. قال السعدي رحمه الله: "أي: إلى

---

(١) المائدة: ١٠٠.

(٢) النور:٥٤.

الصراط المستقيم، قولاً وعملاً؛ فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال"[١].

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذِكْرُه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي ولو أعجبك كثرة الخبيث، يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثر أهل المعاصي فعجبتَ من كثرتهم، لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا دون أهل معصيته، وإنّ أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا، فلا تعجبن من كثرة من يعصي الله فيمهله ولا يعاجله بالعقوبة، فإن العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم"[٢].

وقال القرطبي رحمه الله: "إن اللفظ عام في جميع الأمور، يتصور في المكاسب والأعمال، والناس، والمعارف من العلوم وغيرها، فالخبيث من هذا

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٧٢).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٩٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كله لا يفلح ولا ينجب، ولا تحسن له عاقبة وإن كثُر، والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[١]. ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[٢]. فالخبيث لا يساوي الطيب مقداراً ولا إنفاقاً، ولا مكاناً ولا ذهاباً، فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطيب في الجنة، والخبيث في النار"[٣].

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: الإنسان بفطرته السليمة وعقله السوي يستطيع التمييز بين الخبيث والطيب، وتكون نفسه مقبلة على الطيب ومشمئزة من الخبيث، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[٤]. قال السعدي رحمه

---

(١) الأعراف: ٥٨.

(٢) ص: ٢٨.

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٣٢٧).

(٤) الروم: ٣٠.

الله: "فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ"**[(١)]"[(٢)].

ثانياً: إن المحافظة على فطرة الإنسان مطلب مهم للغاية ليعيش حياته في أمن وسلام في شأن دينه ودنياه، والمنطلق الأساس في رعاية الفطرة هم الأسرة، المحضن التربوي الأول في صلاح الناشئة، فكل راع مسؤول عن رعيته، كما قال صلى الله عليه وسلم: "كُلُّكُمْ راع، وكلكم مسؤول عن رعيته"[(٣)]. فمن خلال الأسرة يتم ترسخ العقيدة السليمة، وغرس الأخلاق والقيم والمبادئ الإسلامية التي تزكي الإنسان وترتقي به إلى كماله البشري، فيعرف الخبيث من الطيب، والخير من الشر، والصالح من الطالح، ثم يأتي

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٣٨٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٤١).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥٥٤)، صحيح مسلم، حديث رقم: (١٨٢٩).

دور آخر لا يقل أهمية عن دور الأسرة، وهو: المؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية، فكل منها على ثغر، وعليه مسؤولية كبيرة في المحافظة على الفطرة، وإعداد شباب المسلمين، وناشئتهم إعداداً متوازناً عقدياً وتربوياً ونفسياً واجتماعياً.

ثالثاً: قد يتوهم الإنسان عند رؤية انتشار الخبيث وكثرته وقبول دهماء الناس له أنه هو الحق ولا حق غيره، ومرجع هذا ضعف وضوح الرؤية لديه لقلة علمه وفهمه لحقائق الدين وأحكامه، وكلما ضعف وضوح الرؤية لدى الإنسان لقلة علمه وفهمه كان عرضةً للوقوع في الخبيث، قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ**﴾[١].

قال السعدي رحمه الله: "دلت هذه الآية، على أنه لا يستدل على الحق، بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله

(١) الأنعام:١١٧.

قدراً وأجراً، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل، بالطرق الموصلة إليه"(١).

رابعاً: يجب على الإنسان العاقل الموفق أن يعتنيَ بالعلم والفقه في الدين ليتبصر في أمر دينه ودنياه، فمن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين؛ أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم(٢). وإذا أشكل عليه أمر يرجع لأهل العلم الثقات لتوضيح ما وقع فيه الإشكال لديه، قال تعالى: ﴿**فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾(٣). ومهم جداً أن يكون للعلماء الراسخين في العلم، وطلبة العلم المميزين الأكْفاء دور بارز في التوجيه والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة لتبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم، والإجابة على تساؤلاتهم.

خامساً: إن أقوى مُعين على نور البصيرة لتمييز الخبيث من الطيب، ونيل الفلاح في الدنيا والآخرة؛ تقوى الله تعالى: ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي**

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٧٠).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٧٣١٢)، صحيح مسلم، حديث رقم: (١٠٣٧).

(٣) النحل:٤٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. قال محمد رشد رضا رحمه الله في تفسيره المنار: "المتقي: هو من يحمي نفسه من العقاب، ولا بد في ذلك أن يكون عنده نظر، ورشد يعرف بهما أسباب العقاب والآلام فيتقيها، فإن تقوى الله تعالى هي التي تنظمكم في سلك الطيبين"(١). وتقوى الله كما قال ابن رجب رحمه الله: "تقوى العبد لربِّه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه مِن غضبه وسخطه وعقابه وقايةً تَقِيه من ذلك، وهو: فِعل طاعته، واجتناب معاصيه"(٢).

سادساً: لا يتحصل العبد على تقوى الله تعالى بنزول وحي عليه، ولكن بتوفيق الله تعالى أولاً، ثم بقاعدة الأخذ بالأسباب القائمة على الاجتهاد في أخذ الوسائل المناسبة مع الصبر والجد، فيعتني ابتداءً بتوحيد الله تعالى الخالص، ﴿**فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ**﴾(٣). ثم لزوم طاعة الله تعالى؛ فهي سبيل المؤمنين، وفاتحة أبواب الخير كلها، قال تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ**﴾(٤). قال الطبري رحمه

---

(١) تفسير المنار (١/ ١٠٥).

(٢) جامع العلوم والحكم، (٢/ ٤٦٨).

(٣) الزمر: ٢-٣.

(٤) النور: ٥٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله: "يقول تعالى ذكره: وإن تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ترشدوا وتصيبوا الحق في أموركم"[١]. ثم بالحرص على التعليم الشرعي من مظانه، وكثرة ذكر الله تعالى، ومداومة حضور حلقات العلم، ومجاهدة النفس من الوقوع في المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها، ولزوم كل باب يوصل لفعل الخير، وبه يتحصل الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**﴾[٢]. قال السعدي رحمه الله: "أي: تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، فمن وفق لذلك، فله القدح المعلى، من السعادة والنجاح والفلاح"[٣].

سابعاً: أشارت الآية الكريمة موضوع المقال إلى مخاطبة أولي الألباب بتقوى الله تعالى؛ لأنهم ذوو الأفهام والبصائر دون غيرهم، ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾. قال ابن عثيمين رحمه الله: "انظر النداء كيف يداخل القلب ﴿**يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾ أي: يا أولي العقول، أي: يا أصحاب العقول،

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٠٧).

(٢) الحج:٧٧.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٤٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمراد بالعقول ذوات الرشد وحسن التصرف وليس عقل الإدراك، قد يكون عند الكافر من عقل الإدراك أكثر مما عند المؤمن، لكن عقل الرشد منفي عن الكافر مطلقًا، ليس عنده عقل رشد؛ لأنه لو كان عنده عقل رشد لآمن ولم يكفر، إذًا يا أصحاب العقول، أي: العقول الراشدة التي تعرف ما ينفعها فتقوم به وما يضرها فتجتنبه"(١). والواجب على المسلم الموفق أن يعتني بسؤال ربه عز وجل الهداية على الصراط المستقيم، ليُعينه على معرفة الخبيث من الطيب والخير من الشر، وهي من فضل الله تعالى وإحسانه متضمنة في سورة الفاتحة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، التي يجب علينا قراءتها في صلاة الفريضة كل ركعة؛ سبع عشرة مرة يومياً، فكيف بمن يكثر من نوافل الصلوات في يومه وليله ويزداد من هذا الدعاء المبارك، فالله كريم لا يُخَيِّبُ من توجه إليه ودعاه، وأيضاً الحرص على الأدعية الجامعة، ومنها ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله، "قالَ لي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بالهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ"(٢).

---

(١) تفسير العثيمين (٢/٤٣٥).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٧٢٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثامناً: إن تقوى الله تعالى أساسُ الفلاح وأصله توحيد الله الخالص قولاً وفعلًا، وأهم تطبيق عملي لتقوى الله تعالى المحافظة على الصلوات الخمس جماعة في أوقاتها، قال تعالى: ﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ**﴾[1]. ومن تدير الأذان يلحظ تكرار: **(حي على الفلاح .. حي الفلاح)**، فلا فلاح بلا صلاة، وقد تكررت: ﴿**لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**﴾ إحدى عشرة مرة؛ تارة مرتبطة بتقوى الله تعالى، وتارة أخرى بالأعمال الصالحة المؤدية للتقوى، وإليكم أسماء السور وأرقام الآيات، فحبذا العودة إليها وتدبرها لما فيها من الخير والتنبيه على الأعمال الصالحة المؤدية للتقوى وحصول الفلاح: **(البقرة: ١٨٩، آل عمران: ١٣٠، آل عمران: ٢٠٠، المائدة: ٣٥، المائدة: ٩٠، المائدة: ١٠٠، الأعراف: ٦٩، الأنفال: ٤٥، الحج: ٧٧، النور: ٣١، الجمعة: ١٠).**

تاسعاً: من جمال الإسلام أنه يُرَغِّبُ في كل شيء طيب من الأفعال، والأقوال، ومن المأكل، والمشرب، والملبس، ويُحَرِّمُ ما يكون فيه ضرر وخطر، قال تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ**

---

(١) المؤمنون: ١-٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[١]. قال السعدي رحمه الله: "﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من المطاعم، والمشارب، والمناكح، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ من المطاعم، والمشارب، والمناكح، والأقوال، والأفعال"[٢]. فالحمد لله على نعمة الإسلام، وما أعظمها نعمة.

عاشراً: في زماننا توسعت وسائل التوصل الاجتماعي، وفي جانب منها خير ونفع، ولكن في جوانب منها شر وأذى؛ لما تبثه في كل وقت وحين من أفكار وعادات وأنماط سلوكية لا يتوافق جُلُّها مع شرائع الإسلام، وللأسف أن بعض القائمين عليها من غير المسلمين، أو مسلمون بالهوية فقط، أو أظلمت قلوبهم بالجهل والغفلة، فلا يفرق بين الخبيث والطيب وبين الخير والشر، ولذلك يجب العناية بحسن الانتقاء لهذه الوسائل وبرامجها والتنبيه على خطورتها، والتحذير من الانجراف وراء كل ما يبث فيها، فالمسلم ينطلق في جميع أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته وفق منهج الله تعالى، فلا حرية في الإسلام بدون ضوابط شرعية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ

---

(١) الأعراف:٥٧.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٠٥).

عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا٣٦﴾[١]. قال الشنقيطي رحمه الله: "نهى جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ما ليس له به علم، ويشمل ذلك قوله: رأيت ولم ير، وسمعت، ولم يسمع وعلمت ولم يعلم، ويدخل فيه كل قول بلا علم، وأن يعمل الإنسان بما لا يعلم"[٢].

---

(١) الإسراء:٣٦.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٤٥).

(٦)

ما أعظم ملك الله وقدرته!

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ﴾

ما أعظم ملك اللّه وقدرته!

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُۢ﴾[١].

تمهيد:

إنّ مِن أجلِّ النعم على الإنسان أن يدركَ تمام الإدراك قدرة الله وعَظَمَته، وأنه سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه؛ مالك الملك المتصرف في كونه وكل ما فيه علويه، وسفليه، وما بينهما تحت قدرته ومشيئته ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن جلّ جلاله، ومن أنعمَ الله عليه بهذه النعمة ووقرَت في صميم قلبه وأعماق وجدانه، فقد نال خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، وكانت سبيلاً ومرشداً لعبادة الله تعالى باتباع شرعه والالتزام به أمراً ونهياً.

(١) المائدة: ١٢٠.

توجد في القرآن الكريم سبع عشرة آية مشابهة للآية موضوع المقال، جاءت في سياقات مختلفة، ومضامين متنوعة، ولتحقيق الفائدة للقارئ الكريم سأعرضها للعلم بها، وهي:

الأولى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(١).

الثانية: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

الثالثة: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

الرابعة: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(١).

---

(١) البقرة: ١٠٧.

(٢) آل عمران: ١٨٩.

(٣) المائدة: ١٧.

الخامسة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

السادسة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾(٣).

السابعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(٤).

الثامنة: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(٥).

---

(١) المائدة: ١٨.

(٢) المائدة: ٤٠.

(٣) الأعراف: ١٥٨.

(٤) التوبة: ١١٦.

(٥) النور: ٤٢.

التاسعة: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾(١).

العاشرة: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾(٢).

الحادية عشر: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾(٣).

الثانية عشر: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾(٤).

---

(١) الفرقان: ٢.

(٢) الزمر: ٤٤.

(٣) الشورى: ٤٩.

(٤) الزخرف: ٨٥.

الثالثة عشر: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾(١).

الرابعة عشر: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٢).

الخامسة عشر: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

السادسة عشر: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾(٤).

---

(١) الجاثية:٢٧.

(٢) الفتح:١٤.

(٣) الحديد:٢.

(٤) الحديد:٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السابعة عشر: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[١].

وهذه الآيات الكريمات في مجملها جاءت مؤكدة لعظمة الله تعالى وقدرته، وأن كل شيء في الكون تحت قهره وسلطانه، لا يَعْزُب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك، وصدق الله العظيم: **﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾**[٢]. قال القاسمي رحمه الله: "أي: لا يغيب عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ، وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ؛ أي: فالجميع مندرج تحت علمه، فلا يخفى عليه شيء وإن تناهى في الصغر، فالعظام وأجزاء البدن، وإن تلاشت وتفرّقت وتمزّقت، فهو عالم أين ذهبت وأين تفرّقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، لسعة علمه وعظم قدرته، جلّ شأنه"[٣].

---

(١) البروج:٩.

(٢) سبأ:٣.

(٣) تفسير القاسمي (٨/ ١٣٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ**﴾ أي: هو الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته، فلا نظير له ولا وزير، ولا عديل، ولا والد ولا ولد ولا صاحبة، فلا إله غيره ولا رب سواه"(١).

وقال الطنطاوي رحمه الله في تفسيره الوسيط: "لله تعالى وحده دون أحد سواه الملك الكامل للسموات وللأرض ولما فيهن من كل كائن، وهو سبحانه على كل شيء قدير لا يعجزه أمر أراده، ومن زعم أن له شريكاً سواء أكان هذا الشريك عيسى، أم أمه، أم غيرهما فقد أعظم الفِرية، وكان مستحقاً لخزي الدنيا، وعذاب الآخرة"(٢).

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٢).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤/ ٣٥٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولاً: تُنبه الآية الكريمة في مبدأيها إلى تعظيم الله تعالى لنفسه سبحانه: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ**﴾. وهو تعظيم مستحق له عز وجل، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد، القادر المتصرف وحده دون سواه في السماوات والأرض وما بينهما، فلا يعجزه شيء فيها وما بينهما بتاتاً البتة، فإظهار التعظيم من الخالق لنفسه سبحانه أمر طبيعي ومستحق له كامل الاستحقاق، فالواجب على العبد أن يعتني بتعظيم الله تعالي وتقديره، وإذا كان القرآن الكريم حكى تعظيم شعائر الله، ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ**﴾(١)، أوليس الذي أوجب هذه الشعائر أولى بالتعظيم والتقدير، بل يكون ذلك من أعظم الأولويات وأوجب الواجبات.

ثانياً: لما أظهر الله تعالى لنفسه التعظيم، جاء القرآن الكريم منوهاً إلى غفلة أكثر الناس عنه، قال تعالى: ﴿**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾(٢). قال البغوي رحمه الله: "قال سعيد بن جبير رحمه الله: مالكم لا تعظمون الله

---

(١) الحج:٣٢.

(٢) نوح:١٣.

حق عظمته، وقال الحسن البصري رحمه الله: لا تعرفون لله حقاً ولا تشكرون لله نعمة"[١]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[٢]. قال ابن باز رحمه الله: "الآية عامّة، تَعمّ قريشًا وغيرهم، كل مَن قال هذه المقالة: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ**﴾ تَعمّ جميع الكفرة الذين قالوا هذه المقالة من قريشٍ وغيرهم، ما عظَّموا الله حقَّ تعظيمه، وما قدروه حقَّ قدره إذ اتَّهموه بأنَّه أهمل الناس، وترك الناسَ على ضلالهم وعماهم من غير رسلٍ ولا كتبٍ، بل هذا من ظن السّوء"[٣].

ثالثاً: إن تعظيمَ الله تعالى من صميم توحيده والإخلاص له، ولكن لا ينسحب هذا التعظيم على المخلوق، فليس للمخلوق أن يعظم نفسه، وقد نهت الشريعة عن ذلك، قال تعالى: ﴿**فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ**

---

(١) تفسير البغوي (٨/ ٢٣١).

(٢) الزمر:٦٧.

(٣) انظر بتوسع حول هذا الموضوع؛ مقال: ملامح تربوية مستنبطة من قول الله تعالى:"وما قدروا الله حق قدره" للكاتب على موقع الألوكة.

www.alukah.net

بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[١]. قال الشوكاني رحمه الله: "أي: لا تمدحوها ولا تبرئوها عن الآثام ولا تثنوا عليها، فإنّ ترك تزكية النفس أبعد من الرياء، وأقرب إلى الخشوع"[٢].

رابعاً: هناك تفصيل مهم حول تزكية النفس، بين مذموم ومحبوب؛ بينه النووي رحمه الله بقوله: "اعلم أن ذكرَ محاسن النفس ضربان: مذموم؛ ومحبوب، فالمذمومُ؛ أن يذكرَه للافتخار وإظهار الارتفاع والتميّز على الأقران وشبه ذلك، والمحبوبُ؛ أن يكونَ فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمراً بمعروف، أو ناهياً عن منكر، أو ناصحاً، أو مشيراً بمصلحة، أو معلماً، أو مؤدباً، أو واعظاً، أو مذكِّراً، أو مُصلحاً بين اثنين، أو يَدفعُ عن نفسه شرّاً، أو نحو ذلك، فيذكر محاسنَه ناوياً بذلك أن يكون هذا أقربَ إلى قَبول قوله واعتماد ما يذكُره"[٣].

---

(١) النجم:٣٢.

(٢) فتح القدير، (٥/ ١٣٦).

(٣) الأذكار، بابُ مدح الإنسان نفسه وذكر محاسنه، (ص ٢٧٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خامساً: هناك فائدة مهمة نبه إليها ابن عثيمين رحمه الله: وهي: "عدم جواز قول عبارة: **"إنه على ما يشاء قدير"**، وذلك لعموم قدرة الله عز وجل على كل شيء، لقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[(١)]. وهذه الصفة مطلقة، وهل هو قدير على ما لا يشاء؟ نعم قدير على ما لا يشاؤه فإذا شاءه وقع، وبهذا نعرف خطأ من يعبر من الناس، يقول: إنه على ما يشاء قدير، لا يجوز هذا؛ لأنك إذا قلت: إنه على ما يشاء، وقدمت أيضًا المعمول خصصت قدرته بما يشاء دون ما لا يشاء، وهذا غلط فهو قادر على ما يشاء وما لا يشاء"[(٢)].

سادساً: تؤكد الآية موضوع المقال، والآيات المشابهة المشار إليها سابقاً على ترسيخ مفهوم توحيد الله تعالى، فهو أساس الدين ولب شرائعه، من أجله قامت السماوات والأرض، وأُرسلت الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأُنزلت الكتب، فمن وحّد الله تعالى حق توحيده بالتزام شرعه أمراً ونهياً، فقد عاش حياة آمنة مستقرة في الدنيا والآخرة، وصدق الله تعالى:

---

(١) المائدة: ١٢٠.

(٢) تفسير العثيمين (الفرقان ص: ٢٢٥).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾(١). قال ابن كثير رحمه الله: "هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"(٢).

سابعاً: ينتشر في أوساط بعض الناس، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي المعاصرة الاعتقاد أن لبعض الناس قدرات في معرفة الغيب، وأيضاً نجد هذا الاعتقاد مشاع عند بعض المذاهب المنحرفة التي تبالغ في تقديس مشايخهم وعلمائهم، نسأل الله السلامة والعافية، ولا شك أن هذا اعتقاد خاطئ ومخالف لنصوص القرآن الكريم المؤكدة على أن الله تعالى وحده عالم الغيب والشهادة، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ

---

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٣).

(٣) الجن: ٢٦-٢٦.

أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[١]. قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول معلماً لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب، وقوله: "**إِلَّا ٱللَّهُ**" استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل، فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له"[٢].

ثامناً: المؤمنُ عندما يتدبر الآية الكريمة موضوع المقال، ويستشعر بعقله ووجدانه وكافة مشاعره أن لله تعالى وحده ملك ومالك السماوات والأرض وما بينهما وهو على كل شيء قدير، فحينها يمتلئ قلبه ثقة بالله وتوكلاً عليه في شؤون حياته كلها، دِقّها وجِلّها حاضراً ومستقبلاً، ولذلك جاءت آيات كثيرة تحض على تدبر القرآن الكريم، منها: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾[٣]. قال السعدي رحمه الله: "﴿**لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِ**﴾ أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته

---

(١) النمل:٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ١٨٧).

(٣) ص:٢٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءةَ المشتملة على التدبر أفضلُ من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب"(١).

تاسعاً: هناك تكاملٌ وتوافقٌ بين الآية موضوع المقال وبين التوجيه النبوي الوارد في كُتب السنة النبوية المطهرة، بتأكيد توحيد الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: "مَن قالَ في يومٍ مائةَ مرَّةٍ: **(لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وَهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ)**، كانَ لَهُ عدلُ عشرِ رقابٍ، وَكُتِبَت لَهُ مائةُ حَسنةٍ، ومُحيَ عنهُ مائةُ سيِّئةٍ، وَكُنَّ لَهُ حِرزًا منَ الشَّيطانِ، سائرَ يومِهِ إلى اللَّيلِ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ ممَّا أتى بِهِ، إلَّا من قالَ أَكْثرَ"(٢). قال ابن رجب رحمه الله: "تحقيق كلمة التوحيد يوجب عتق الرقاب، وعتق الرقاب يوجب العتق من النار"(٣). وقال ابن عثيمين رحمه

(١) تفسير السعدي (ص: ٧١٢).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٢٩٣)، صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٩١).

(٣) لطائف المعارف، (ص ٢٨٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله: "ينبغي للإنسان أن يداوم عليها، وينبغي أن يقولها في أول النهار لتكون حرزاً له من الشيطان"[١]. هذا الذكر المبارك كنز من كنوز السنة النبوية، وهو متاح ويسير لمن يسره الله، فالمسلم الموفق ينبغي أن يحرصَ على الإكثار منه لينال ما ترتب عليه من أجور عظيمة، نسأل الله من فضله.

(١) شرح رياض الصالحين، (٥/ ٤٨٨).

(٧)

اللّه قاهرٌ فوق عباده

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾

اللّه قاهر فوق عباده

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[١].

تمهيد:

إن الله جل جلاله هو المستحق للعبادة، فليس في الوجود من يستحق أن يُعْبد إلا الله جلت قدرته، وهو القاهر فوق عباده بعظمته وقدرته وسلطانه عز وجل، وله سبحانه الكمال المطلق من كل وجه، وله جل جلاله الأسماء الحسنى والصفات العلا، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٢]. وهو المنعم على عباده بِنِعم ظاهرة وباطنة لا تُعد ولا تُحصى، فهو خالقهم ورازقهم ومعافيهم، فلا يستقيم في شرع، ولا عقل سوى أن يُعْبد غير من خلق ورزق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٣].

---

(١) الأنعام: ١٨.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) البقرة: ٢١.

فمن وفقه الله تعالى لعبادته وفق شرعه، فقد سلك سبيل المؤمنين وفاز بالفلاح، ومن اتجه بعبادته، أو شيء منها إلى غير الله تعالى فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة والعياذ بالله، وصدق الله العظيم: **﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾**[١].

وتوجد آية واحدة مشابهة للآية موضوع المقال بأن الله قاهر فوق عباده، وهي قوله تعالى: **﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾**[٢].

والمتأمل للآية موضوع المقال يجد أنها حوت ثلاثة من أسماء الله الحسنى، وهي: **(القاهر - الخبير - الحكيم)**، ولأهمية أسماء الله الحسنى في ترسيخ العقيدة الصافية، وتعظيم الله تعالى، وتقوية الإيمان؛ فمن المناسب التعريف بها، على النحو الآتي:

---

(١) النور: ٤٠.

(٢) الأنعام: ٦١.

"**اسم الله: "القاهر":** ورد اسم الله **"ٱلْقَاهِرُ"** مرتين في القرآن الكريم، وورد **"ٱلْقَهَّارُ"** ست مرات، وعن معنى اسم: **"ٱلْقَاهِرُ"**. قال السعدي رحمه الله: "القهّار لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره"(١). وقال أيضًا: "القهّار هو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله، عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًّا، ولا خيرًا، ولا شرًّا"(٢). وعن الفرق بين **"ٱلْقَاهِرُ"** و **"ٱلْقَهَّارُ"**. قال البيهقي رحمه الله: "القهّار هو: القاهر على المبالغة، وهو القادر، فيرجع معناه إلى صفة القدرة، التي هي صفة قائمة بذاته. وقيل: هو الذي قهر الخلق على ما أراد"(٣).

---

(١) خاتمة التفسير، أصول وكليات من أصول التفسير، (ص ٩٤٧).

(٢) الحق الواضح المبين، (ص: ٧٦).

(٣) الاعتقاد والهداية، (ص ٥٩).

www.alukah.net

اسم الله: "العليم" "الخبير": ورد اسم الله: "**الخبير**"، في القرآن الكريم خمساً وأربعين مرةً. وعن معنى الخبير؛ قال الغزالي رحمه الله: "هو: بمعنى العليم، لكن العليم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سُمي؛ خبرة، وسمي؛ صاحبها خبيراً"(١). وعَرّف السعدي رحمه الله اسم الخبير مضافاً للعليم، قال:" "**العليم الخبير**"، هو: الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"(٢).

اسم الله: "الحكيم": ورد اسم الله "**الحكيم**"؛ في القرآن الكريم أربعاً وتسعين مرة، قال السعدي رحمه الله:" "**الحكيم**"؛ هو: الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾(٣)، فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سُدى،

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص ٦٣).

(٢) خاتمة التفسير، أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته، (ص ٩٤٥).

(٣) المائدة: ٥٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره وجزائه"[١].

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال الطبري رحمه الله:" ﴿ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، يعني: المذلل المستعبد خلقه؛ العالي عليهم، وإنما قال: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، لأنه وَصَف نفسه تعالى بقهره إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئاً؛ أن يكون مستعلياً عليه، فمعنى الكلام إذاً: والله الغالب عباده، المذل لهم، العالي عليهم بتذليله لهم، وخلقه إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه"[٢].

وقال ابن كثير رحمه الله: "أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلّت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كلَّ شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: في جميع

---

(١) خاتمة التفسير: أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته، (ص ٩٤٥).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٢٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما يفعله، ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بمواضع الأشياء ومحالها، فلا يعطي إلا لمن يستحق ولا يمنع إلا من يستحق"(١).

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: إن العلمَ بأسماء الله الحسنى له أهمية بالغة في معرفة الله تعالى وتعظيمه حق عظمته وتقديره حق قدره، وأثرٌ قوي في ترسيخ العقيدة، وتقوية الإيمان؛ قال ابن القيم رحمه الله: "وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلَمَ، كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر، كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد"(٢).

ثانياً: إن المتأملَ والمتدبرَ بعقله ووجدانه نهاية الآيات المختتمة بأسماء الله الحسنى يمتلأ قلبه إيماناً ويقيناً وفهماً لمعاني الآيات. قال السعدي رحمه

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٩).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، (١/ ٦-٧).

الله: "وهذا بابٌ عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجل المعارف وأشرف العلوم، فتجد آية الرحمة مختومةً بصفات الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر. ومن الأمثلة؛ قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾[١]. فخلقه للمخلوقات وتسويتها على ما هي عليه من إنسان وحيوان ونبات وجماد: من أكبر الأدلة العقلية على علمه، فكيف يخلقها وهو لا يعلمها؟"[٢].

ثالثاً: تأكيداً للمعنى في الفقرة: "**ثانياً**"؛ فقد اختتمت الآية موضوع المقال؛ باسمين من أسماء الله الحسنى، قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾، ولعل من حكمة ذلك ما أشار إليه ابن عثيمين رحمه الله بقوله: "وقرن الله تعالى هنا بين ﴿**ٱلْحَكِيمُ**﴾ و ﴿**ٱلْخَبِيرُ**﴾ ليعلم الناس أن حكمة الله عز وجل عن خبرة وعلم ببواطن الأمور؛ وعلى هذا فقد تكون خفيَّة على كثير من الناس؛ لأنه لا يدرك الحكمة إلا من كان خبيرًا"[٣]. وقس على ذلك؛ فكلما كان الإنسان على علم وفهم بمعاني وحكم أسماء الله

---

(١) الملك: ١٤.

(٢) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، (ص: ٥٣).

(٣) تفسير العثيمين (الأنعام، ص: ٩١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحسنى المختتمة بها الآيات ازداد إيماناً ويقيناً وتطبيقاً لتوجيهاتها ومضامينها، فمن علم ليس كمن لا يعلم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(١).

رابعاً: من أعظم شرف العناية بأسماء الله الحسنى؛ ترسيخها لتوحيد الله تعالى في النفوس، وهو المقصد الأعظم من خلق الإنسان. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢). قال ابن باز رحمه الله: "وهذه العبادة التي خلق الله الثقلين من أجلها؛ هي: توحيده بأنواع العبادة من الصلاة والصوم والزكاة والحج والسجود والطواف والذبح والنذر والخوف والرجاء والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة، وسائر أنواع الدعاء، ويدخل في ذلك طاعته سبحانه في جميع أوامره وترك نواهيه"(٣). وعن اسم الله **"القاهر"**؛ قال ابن القيم رحمه الله: "القهار لا يكون إلا واحداً ويستحيل أن يكون له شريك، بل القهر والوحدة متلازمان؛ فالملك، والقدرة، والقوة،

---

(١) فاطر:٢٨.

(٢) الذاريات:٥٦.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٦٧).

والعزة كلها لله الواحد القهار، ومن سواه مربوب مقهور"[١]. وقال السعدي رحمه الله: "كلُّ مخلوق فوقه مخلوق يقهره، ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان متعينان لله وحده"[٢].

خامساً: تضمنت الآية موضوع المقال، أن الله قاهر فوق عباده، وصفة العبودية إكرام وتشريف للناس ورفعة لهم؛ قال ابن تيمية رحمه الله: "فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق، بل من أضلهم؛ قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ * لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ**﴾[٣]"[٤].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٢٣٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام للمنان، (الرعد: ١٦).

(٣) الأنبياء: ٢٦-٢٧.

(٤) العبودية، (ص ٧٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وينبغي على المؤمن الموفق أن يعتني بعبودية الله تعالى ويخلص لها لينال شرفها، ويعطيها جل اهتمامه؛ علماً، وفهماً، وتطبيقاً، وقولاً، وفعلاً. قال ابن القيم رحمه الله عن العناية بالعبودية والإخلاص لها: "أنها الغاية التي شمر إليها السالكون، وأمَّهَا القاصدون، ولحظ إليها العاملون، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية"(١).

سادساً: يعيش بعض الناس في خوف وقلق وتوتر لكثرة مطالب الحياة ومشاغلها المعاصرة، ولو توقف عند هذه الآية: ﴿**وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾، ثم بدأ يتأمل ويتدبر مضامينها بعلم ومعرفة لاطمأن قلبه وهدأت نفسه، فربما كان قبلها متخبطاً يمنة ويسرة حائراً بائساً يعبث به الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء، فيسلك مسالك محظورة، قد تصل به إلى الاستعانة بغير الله تعالى، فالأولى أن يكون المفزع الأول في قضاء حوائجه أياً كانت، ومهما كانت هو الله القاهر؛ "الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء،

---

(١) مدراج السالكين، (ص ٤٣٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ودانت له الخلائق"[١]. فحينئذ نعتمد عليه في كل شؤون حياتنا اعتماداً كلياً، ونتوكل عليه بيقين صادق وتوكل تام، فهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وهو على كل شيء قدير، قال ابن كثير رحمه الله: "﴿**وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ**﴾ أي: في جميع ما يفعله، ﴿**ٱلۡخَبِيرُ**﴾ بمواضع الأشياء ومحالها، فلا يعطي إلا لمن يستحق ولا يمنع إلا من يستحق"[٢].

سابعاً: عندما يستحضر العبد معاني ودلالات اسم الله تعالى:

"**القاهر**" أو "**القهار**"، يورث قلباً حَسَنَ التوكل على مولاه، لأنه علم أن له رباً عظيماً، قوياً، قاهراً، مقتدراً، وأيضاً يورثه خوفاً وفزعاً منه سبحانه، فتستقيم حياته، وتهنأ عيشته، وتعظم سعادته، وإذا تحقق الخوف من الله وحده، هان بجانبه كل جبار، وضعف بإزائه كل متسلط قهار، قال تعالى: ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿**فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ**﴾[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٩).

(٣) آل عمران: ١٧٥.

(٤) المائدة: ٤٤. انظر: ويلالي، محمد، اسم الله القاهر – القهار تأصيلاً وفقهاً، موقع الألوكة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثامناً: إن وصف الله جل جلاله بصفة **"القاهر"** أو **"القهار"**؛ صفة تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، لأنه المعبود المستحق للعبادة بكل معاني الاستحقاق، فقهره ليس نابعاً عن ظلم وطغيان بل عن حكمة وخبرة، ﴿**وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾(١). أما صفة القهر في الخلق، فغالباً ما تكون مذمومة لقيامها على الطغيان والظلم، كما حكى القرآن الكريم عن الطاغية فرعون: ﴿**قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾(٢). وقد نهى القرآن الكريم عن ظلم الناس وبخاصة الضعفاء، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾(٣). قال القرطبي رحمه الله: "أي: لا تسلط عليه بالظلم، ادفع إليه حقه، وخص اليتيم؛ لأنه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ في أمره، بتغليظ العقوبة على ظالمه"(٤).

---

(١) الأنعام: ١٨.

(٢) الأعراف: ١٢٧.

(٣) الضحى:٩.

(٤) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٠). انظر: ويلالي، محمد، اسم الله القاهر – القهار تأصيلاً وفقهاً، موقع الألوكة.

(٨)

ولا ظالم إلاّ سيبلى بأظلم

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا

كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾

ولا ظالم إلاّ سيبلى بأظلم

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[(١)].

تمهيد:

إن الحياةَ الدينا لا تخلو غالباً من منغصات وإشكالات وعداوات البتة، وبخاصة بين العلاقات البشرية على مختلف مستوياتها لضعف الإيمان، واختلاف الأفهام، وسوء النيات، وتعارض المصالح. ولعل قصة الأخوين هابيل وقابيل، وهما من أوائل البشر الذين سكنوا الأرض؛ وقد حدث بينهما إشكالات؛ وظلم وعداء صارخ من قابيل لأخيه هابيل انتهى بقتل قابيل لأخيه. وإذا لم تتسلح النفس بالإيمان والتقوى، فقد تستجيب لنداء النفس الأمارة بالسوء فيحدث منها الظلم والطغيان عند تعارض مصالحها وارتفاع نسبة الأنانية، وصدق الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾[(٢)]. قال ابن

(١) الأنعام: ٢٩.
(٢) العلق:٦.

عثيمين رحمه الله: "الإنسان من طبيعته الطغيان والتمرد، متى رأى نفسه في غنًى، ولكن هذا يخرج منه المؤمن؛ لأن المؤمن لا يرى أنه استغنى عن الله طرفة عين"(١). ولا شك أن الطغيانَ وما ينتج عنه من ظلم الناس بعضهم بعضاً سبب رئيس في اختلال الأمن بين الناس، فيعيشون في عداوات وصراعات، فلا أمن ولا أمان على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ومصالحهم.

من أجل ذلك حرص الإسلام، بمصدريه الأساسيين؛ القرآن الكريم والسنة المطهرة على تنظيم الحياة البشرية، بإيجاد تشريعات محكمة لولاة الأمر، لتنظيم وحفظ الضرورات الخمس، وهي: (**الدين، النفس، العقل، النسل، المال**)، ليعيش الناس في أمن وسلام، وهناك عقوبات إلهية يقدرها ويدبرها أحكم الحاكمين، وهي ما عُرف بتسميتها السنن الكونية، أو القواعد العدلية، ومنها: الآية موضوع المقال، حيث يُسلط الله على كل ظالم ظالماً مثله، ومنها؛ قاعدة: الجزاء من جنس العمل، وقاعدة: أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وغيرها كثير.

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

---

(١) تفسير العثيمين (جزء عم، ص: ٢٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال قتادة رحمه الله: "﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضًا﴾ إنما يوالي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن أينما كان، وليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولعمري لو عملتَ بطاعة الله ولم تعرف أهل طاعة الله ما ضرك ذلك، ولو عملتَ بمعصية الله وتوليت أهل طاعة الله ما نفعك ذلك شيئاً"(١).

وقال السعدي رحمه الله: "من سنتنا أن نولي كل ظالم ظالماً مثله، يؤزه إلى الشر ويحثه عليه، ويزهده في الخير وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيع أثرها، البليغ خطرها، والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(٢). ومن ذلك، أن العباد إذا كَثُر ظلمهم وفسادهم، ومنْعِهم الحقوق الواجبة، ولَّى عليهم ظلمة، يسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله، وحقوق عباده، على وجه غير مأجورين

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، حديث رقم: (٧٩٠٠).

(٢) فصلت: ٤٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فيه ولا محتسبين، كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا، أصلح الله رعاتهم، وجعلهم أئمة عدل وإنصاف، لا ولاة ظلم واعتساف"[١].

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: إن الله تعالى جعل للحياة سنناً تُنظم العلاقات البشرية، وهي سنن ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، قال عز وجل: ﴿**فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا**﴾[٢]. قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا أن أُحِلَّ بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم"[٣]. ومن عَلِم بهذه السنن وفَقِهها كانت له عوناً بعد الله تعالى في استقرار حياته الدنيوية، ومعبراً آمناً بعون الله لحياته الأخروية، فالسعيد من

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٧٣).

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٤٧٨).

اتعظ بغيره قبل فوات الأوان. قال عبد الرزاق البدر حفظه الله: "ومن لم يعتبر بحال غيره من المفرطين الذين سبقوه كان لمن بعده عبرة"(١).

ثانياً: تُعد سنة الابتلاء من أشمل السنن، قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا**﴾(٢). وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما يُصيب الإنسان في حياته من خير وشر، قال سبحانه: ﴿**وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ**﴾(٣). ولما كانت العلاقات البشرية قائمة على تبادل المصالح؛ فهي في الغالب لا تخلو من مَدٍّ وَجَزرٍ في الأقوال والأفعال، لذلك جاء التوجيه القرآني الكريم منبهاً إلى قيامها على سنة الابتلاء مع الصبر عليها، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا**﴾(٤). قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض، جعلنا هذا نبياً وخصصناه بالرسالة، وهذا مِلكاً وخصصناه بالدنيا، وهذا فقيرًا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حُرم مما

(١) الموقع الرسمي للشيخ عبدالرزاق البدر تحت عنوان السعيد من اتعظ بغيره.
(٢) الملك:٢.
(٣) الأنبياء:٣٥.
(٤) الفرقان: ٢٠.

أعطيه الغنيّ، والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة، وكيف رضى كل إنسان منهم بما أعطى وقسم له، وطاعته ربه مع ما حُرم مما أعطي غيره"[١].

ثالثاً: لسلامة العلاقات البشرية ودوامها على المحبة والوئام بدلاً من الكره والخصام جاءت الشريعة السمحة بالعديد من التوجيهات التي تحث على الأخلاق الفاضلة، وحُسن التعامل مع الأخرين، ومنها؛ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ**﴾[٢]. ومنها؛ قوله صلى الله عليه وسلم: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ"[٣]. وعلى الرغم من وضوح هذه التوجيهات قد يحدث بسبب الضعف البشري، وتسلط الهوى

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٢٥٢).

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٥٦٤).

والشيطان تناحر وتخاصم في العلاقات يصل أحياناً إلى درجة الطغيان، ويكون معه ظلم وجور بالطرف الآخر.

رابعاً: الحذر كل الحذر من تجاوز الحدود وإلحاق الأذى والضرر بالآخرين. فالله تعالى وعد بِنُصْرَة المظلوم، ومن أصدق من الله قيلا؛ كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اتَّقوا دعوةَ المظلومِ؛ فإنها تُحملُ على الغَمامِ، يقولُ الله: وعِزَّتِي وجَلالي لأَنْصُرَنَّك ولوْ بَعْدَ حينٍ"[١]. ومن نصرة المظلوم أن الله تعالى يُسَلِّطُ عليه ظالمٌ مثله، مصداقاً للآية موضوع المقال: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ**﴾، قال القرطبي رحمه الله: "نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله، وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالماً آخر، ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه"[٢]. وينبغي على الإنسان الموفق الحذر أشد الحذر من ظلم الآخرين، أو ظلم نفسه حتى لا تناله سنة الله في نصرة المظلوم، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ**﴾[٣].

(١) فؤاد عبد الباقي، صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: (٢٢٣٠).
(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٨٥).
(٣) هود: ١٠٢.

خامساً: جاء في القرآن الكريم أن الولاية ستة أنواع، وهي:

- ولاية الله للمتقين، ﴿**وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾(١).
- ولاية الله للمؤمنين، ﴿**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾(٢).
- ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً، ﴿**وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ**﴾(٣).
- ولاية الظالمين بعضهم بعضاً، ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾(٤).
- ولاية الشيطان للكافرين، ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ**﴾(٥).

ولتوضيح ذلك؛ قال الشنقيطي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾(٦). ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنَّه ولي المتقين، وهم

---

(١) الجاثية: ١٩.

(٢) البقرة:٢٥٧.

(٣) التوبة:٧١.

(٤) الأنعام: ١٢٩.

(٥) البقرة: ٢٥٧.

(٦) الجاثية: ١٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذين يمتثلون أمره ويجتنبون نهيه، وذكر في موضع آخر أن المتقين أولياؤه، فهو وليهم وهم أولياؤه؛ لأنهم يوالونه بالطاعة والإيمان، وهو يواليهم بالرحمة والجزاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ**﴾[١]، ثم بين المراد بأوليائه في قوله: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾[٢]، فقوله تعالى: ﴿**وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ كقوله في آية الجاثية هذه: ﴿**وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ**﴾[٣]، وقد بين تعالى في آيات من كتابه أنَّه ولي المؤمنين، وأنهم أولياؤه، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ**﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾[٧]"[١].

---

(١) يونس:٦٢.

(٢) يونس:٦٣.

(٣) الجاثية: ١٩.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) البقرة:٢٥٧.

(٦) محمد:١١.

(٧) الأعراف: ١٩٦.

سادساً: يغلب على الطبيعة البشرية الميل إلى من يُشاكلها بحكم الهوى والشهوات والعادات والتقاليد والأعراف السائدة، أو الاتجاه السائد في البيئة المحيطة، قال المراغي رحمه الله: "من شأن الأفراد والجماعات أن يميل كل منهم إلى من كان على شاكلته ويتولاه بالتعاون والتناصر فيما هم فيه مشتركون ويناوئون من يخالفهم في ذلك"[٢]. وهنا وقفة تربوية مهمة، أن الإنسان الموفق بتوفيق الله تعالى لا يتجه في أي وجهة، أو يسير مع من هب ودب؛ حتى يعرف حقيقته ويسبر مآله من خير وشر لأن مسايرة الناس في توجهاتهم والتعلق بالعادات والتقاليد والأعراف قد يحصل من جرائها أخطاء شرعية لا تحمد عقباها، ويكون الإنسان بسببها تحت دائرة عقاب الله تعالى، وهذا الميل غير الواعي تجاه توجهات الناس والتعلق بالعادات والتقاليد ممقوت شرعاً وعقلاً، وهو من إفرازات الجاهلية؛ إذ قال أحدهم:

وما أنا إلّا من غزيّة إن غَوَت ... غويتُ وإن ترشُد غزيّةُ أرشُدِ

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٢٠١).

(٢) الأنعام: ٢٩، (٨/ ٣١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سابعاً: إن الإسلامَ دينُ الكمال والخير والعدل، يرفض أعراف الجاهلية، ومنها الميل غير الواعي للعادات والتقاليد وما عليه الأباء والأجداد دون نظر وتمحيص بما يوافق الشرع من عدمه، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾(١). وقال صلى الله عليه وسلم: "**لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا، فَلا تَظْلِمُوا**"(٢). قال ابن عثيمين رحمه الله: "ينبغي للمسلم أيضاً ألا يكون إمَّعَةً يتبع كلَّ ناعق، بل ينبغي أن يُكَوِّن شخصيته بمقتضى شريعة الله تعالى، حتى يكون متبوعاً لا تابعاً، وحتى يكون أسوة لا مُتأسياً"(٣).

ثامناً: إن الإنسانَ، أو الجماعة قد يبتلوا بظالم يسومهم سوء العذاب، أو بقحط، أو نكبات، أو جوائح، أو شدة، ولا يدرك الكثير من الناس أن ذلك تحقيق لسنة الله تعالى عليهم، وقد نبه وحذر ابن عثيمين

---

(١) المائدة: ١٠٤.

(٢) البغوي، شرح السنة، حديث رقم: (٣٤٤٤)، الترمذي؛ وقال حديث حسن غريب، رقم: (٢٠٠٧).

(٣) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين، (٢/٣٠١).

رحمه الله من ذلك، فقال: "نرى الآن النكبات تأتي على المسلمين متنوعة، وما رأينا أحدًا إلا القليل النادر يقول: يا جماعة، ارجعوا إلى دينكم، البلاء منكم، والخطأ خطؤنا، والظلم ظلمنا، فلنرجع إلى ربنا، حتى لا يسلط علينا هؤلاء الظالمين؛ لأن الله يقول: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾[1]، ليس ما أصابنا هو حدث مادي، أو خلاف من أجل المال، أو الاقتصاد، أو الحدود، أو الأرض، أو ما أشبه ذلك، وإنما هو قدرٌ إلهي، سَلّط بعضنا على بعض لأننا أضعنا أمر الله: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾[2]"[3].

(١) الأنعام: ١٢٩.

(٢) الشورى: ٣٠.

(٣) تفسير العثيمين، من فوائد قوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ آل عمران: ٨٣.

(٩)

يوم القيامة نفسي .. نفسي

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾

يوم القيامة نفسي .. نفسي

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾(١).

تمهيد:

من فضل الله ورحمته أن أكرمَنا بشريعة واضحة المعالم، نظّمت شؤون حياتنا كلها، دِقّها وجِلّها، وتحكمها سنن وقوانين كونية واجتماعية وفق إرادة الله تعالى، قال تعالى: **﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾**(٢). والإنسان بما أنعم الله عليه وأكرمه بإدراكات وملكات يدير بها شؤون حياته بحسب هذه القوانين والسنن، والموفق من أعانه الله وسدده، وكلما كان الإنسان من الله أقرب وأخذ بهذه القوانين والسنن، والتزم بأداء أوامره واجتناب نواهيه سعد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ**

---

(١) النحل: ١١١.

(٢) الأحزاب: ٦٢.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١].

قال ابن كثير رحمه الله: "هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً؛ وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من ذكر، أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله؛ بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة"[٢].

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال السعدي رحمه الله: "﴿**تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا**﴾ كلٌّ يقول: نفسي .. نفسي لا يهمه سوى نفسه، ففي ذلك اليوم يفتقر العبد إلى حصول مثقال ذرة من الخير، ﴿**وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ**﴾ من خير وشر ﴿**وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ فلا يزاد في سيئاتهم، ولا

---

(١) النحل:٩٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٦).

ينقص من حسناتهم ﴿**فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾"[١].

وقال المراغي رحمه الله: "يوم تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها، وتحاجّ عنها، وتسعى في خلاصها، بما أسلفت في الدنيا من عمل، ولا يهمها شأن غيرها من ولد، ووالد، وقريب، ﴿**وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ أي: وتعطى كل نفس جزاء ما عملت في الدنيا من طاعة، أو معصية، فيجزى المحسن بما قدم من إحسان، والمسيء بما أسلف من إساءة، ولا يعاقب محسن، ولا يثاب مسيء؛ والخلاصة: أن كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره؛ كما قال: ﴿**لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾[٢]"[٣].

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٥٠).

(٢) عبس:٣٧.

(٣) تفسير المراغي (١٤/ ١٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولاً: الحياةُ ميدان عمل بلا حساب، وسباقٌ إلى فعل الخيرات. قال تعالى: ﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ**﴾(١)، والآخرة ميدان حساب بل عمل، وجزاء كل نفس بما عملت، قال تعالى: ﴿**جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ**﴾(٢)، وقد نبهتِ الآيةُ -موضوع المقال- إلى دقة الحساب يوم القيامة ﴿**وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ**﴾، فكل قول، أو عمل لا يخفى على الله منه شيء ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾(٣). فالكل محاسب عليه، ولو رمشة عين، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴿**يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ**﴾(٤). ويوم القيامة تُعرض الأعمال للجزاء والحساب ﴿**يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ**﴾(٥). قال المراغي رحمه الله: "أي: فيومئذ تحاسبون وتُسألون، لا يخفى على الله شيء من أموركم، فإنه تعالى عليم بكل شيء، لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء. وفي

---

(١) الواقعة: ١٠-١١.

(٢) الواقعة: ٢٤.

(٣) آل عمران:٥.

(٤) غافر:١٩.

(٥) الحاقة:١٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا تهديد شديد، وزجر عظيم، ومبالغة لا تخفى، وفضيحة للكافرين، وسرور للمؤمنين بظهور ما كان خفياً عليهم من أعمالهم، وبذلك يتكامل حبورهم وسرورهم. وفى هذا العرض إقامة للحجة، ومبالغة في إظهار العدل"[١]. فهذه التوجيهات تتضمن تنبيه وتحذير للإنسان لمراقبة الله تعالى في أعماله وأقواله وحركاته وسكناته في جهره وسره. نسأل الله تعالى أن يسدد أعمالنا وأقوالنا وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ثانياً: إن الإسلامَ أوجب صلة الأرحام في الدنيا ورتّب عليها الأجر العظيم، وحذر من قطعها. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية زاخرة بذلك، قال تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا**﴾[٢]. قال ابن باز رحمه الله: "واتقوا الأرحام أن تقطعوها، فإن قطيعة الرحم من أقبح الجرائم، وصلة الرحم من أفضل القربات، والله أمر العباد أن يصلوا أرحامهم، وحذرهم من قطيعتها ﴿**فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ * أُوْلَٰٓئِكَ**

---

(١) تفسير المراغي (٢٩/ ٥٥).

(٢) النساء: ١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾[(١)]. وفي الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ"[(٢)]. فهذا يدل على أن قطيعة الرحم من الكبائر".

ثالثاً: على الرغم أن صلةَ الأرحام في الدنيا من أعظم القُربات، وأن قطيعتها من أقبح الجرائم، لكن يوم القيامة يتغير المشهد تماماً، وصوَّرَه لنا القرآن الكريم أبلغ تصوير، سواء في الآية موضوع المقال، أو في آيات أخر، منها: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ * يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾[(٣)]. قال السعدي رحمه الله: "أي: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تصخ لهولها الأسماع، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ، مما يرى الناس من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال ﴿يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ﴾ من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، ﴿مِنۡ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ أي: زوجته

---

(١) محمد:٢٢-٢٣.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٥٥٦).

(٣) عبس:٣٣-٣٧.

﴿**وَبَنِيهِ**﴾ وذلك لأنه ﴿**لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ**﴾ أي: قد شغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفات إلى غيرها"(١).

رابعاً: إن الإيمانَ بالله تعالى ركنٌ أساس من أركان الإيمان. فقد جاء في حديث جبريل المشهور: "قال: أخبرني عن الإيمان، قال: **الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر كله خيره وشره**"(٢). فمن استقر الإيمان باليوم الآخر في قلبه أشغل نفسه بما ينجيه من أهوال يوم القيامة، وكان من ضمن الفائزين بفضل الله ورحمته، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ**﴾(٣). فعلى المسلم الذي اطمأن قلبه بالإيمان أن لا يخالجه أدنى شك بالوقوف بين يدي الله تعالى للحساب، وكلما قوي الإيمان في قلب المسلم كلما كان أشد وَجَلاً من حساب الله تعالى، فالواجب أن نحرصَ على تقوية الإيمان في قلوبنا بالعناية بتوحيد الله

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩١١).

(٢) الألباني، صحيح ابن ماجه، حديث رقم: (٥٣).

(٣) البروج:١١.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخالص، وكثرة الأعمال الصالحة، وفعل الخيرات، لنكون على أهبة الاستعداد للقاء الله تعالى، فاللهم سلم .. سلم.

خامساً: اعتنى الإسلام بالتراحم بين المسلمين ومحبة بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[(١)]. وقال صلى الله عليه وسلم: "**لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخيرِ**"[(٢)]. وغير ذلك من التوجيهات التي تحض على التراحم والتواد والتعاون والإيثار؛ لكن كل معاني الأخوة السامية في الدنيا تتلاشي يوم القيامة، فلكل حياة: "الدنيا، البرزخ، الآخرة"، لها نظام محكم تسير عليه، فالموفق من عمل واستعد واجتهد لكل حياة بما شرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ**﴾[(٣)]. قال القرطبي رحمه الله: "هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به، والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه؛ أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردوها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته، والظلمة في

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) صحيح البخاري، رقم: (١٣)، صحيح مسلم، رقم: (٤٥).

(٣) الحج: ٧٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رد ظلمهم، والكافرين في رد كفرهم"(١). وجميل أن نحرص على الدعاء النبوي المبارك: "اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وقِنَا عَذَابَ النَّارِ"(٢).

سادساً: مهما بلغ العبد من الحرص في طاعة ربه عز وجل إلا أنه قد ينتابه شيء من التقصير، قال تعال: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ * وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ**﴾(٣). ولكن من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين وتوفيقه أن ألهمَهم الرجوع إليه بالتوبة والاستغفار. قال تعال: ﴿**فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا**﴾(٤)، وجعل جزاءهم: ﴿**وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ**﴾(٥). قال السعدي رحمه الله: "أي: هذه الجنة وما فيها، مما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، هي التي وعد الله كل أوّاب أي: رجّاع إلى الله، في جميع الأوقات،

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٩٩).

(٢) صحيح البخاري، رقم: (٤٥٢٢)، صحيح مسلم، رقم: (٢٦٩٠).

(٣) الأعراف:٢٠٢.

(٤) الإسراء:٢٥.

(٥) ق:٣١-٣٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بذكره وحبه، والاستعانة به، ودعائه، وخوفه، ورجائه، ﴿**حَفِيظٍ**﴾ أي: يحافظ على ما أمر الله به، بامتثاله على وجه الإخلاص والإكمال له"[١].

سابعاً: الله جل جلاله عدله مطلق لا يظلم نفساً شيئاً ولو مثقال حبة من خردل، ﴿**وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾، قال تعالى: ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ**﴾[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: ونضع الموازين العدل ليوم القيامة، وقوله: ﴿**فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ**﴾ كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[٣]، وقال: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[٤]"[٥].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٠٦).

(٢) الأنبياء:٤٧.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) النساء: ٤٠.

(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٠٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثامناً: لما نزه الله تعالى نفسه جل جلاله عن الظلم جعله بين العباد محرماً، جاءِ في الحديث القدسي: "**يا عبادي إِنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينَكم محرَّمًا فلا تَظالموا**"(١). وقال صلى الله عليه وسلم: "**اتَّقُوا الظُّلم؛ فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ**"(٢)، والآيات الكريمات حول تحريم الظلم كثيرة جداً، منها، قوله تعالى: ﴿**وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ**﴾(٣). قال ابن باز رحمه الله: "الظلم عاقبته وخيمة، وشرّه عظيم، وهو من الفساد في الأرض، ولهذا حرَّمه الله عز وجل لما يترتب عليه من العدوان والشر والفساد والبغضاء والعداوة". فالله الله يا عباد الله أن نظلم أنفسنا بالتقصير في حقوق الله تعالى، أو نظلم الآخرين بأكل أموالهم بالباطل، أو الاعتداء عليهم بأي لون من ألوان الاعتداء. وصدق القائل:

إِلى الديّانِ يَومُ الدينِ نَمضي ... وَعِندَ اللهِ تَجتَمِعُ الخُصومُ

---

(١) صحيح مسلم، رقم: (٢٥٧٧).

(٢) صحيح مسلم، رقم: (٢٥٧٨).

(٣) الشعراء:٢٧٧.

(١٠)

عمى البصيرة يورد المهالك

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾

عمى البصيرة يورد المهالك

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[١].

تمهيد:

إذا كان ضعفُ البصر يَحْجُب الإنسان عن جُلّ متطلبات الحياة واحتياجاتها والاستمتاع بها، فكيف بمن كف بصره تماماً ولا يرى إلا ظلاماً في ظلام، فيكون في حالة من الضجر والاكتئاب لا يعلم مداهما إلا الله تعالى، إلاّ من امتلأ قلبه بالإيمان واستسلم لقضاء الله تعالى وقدره، رجاء ما عنده سبحانه من الأجر العظيم. فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِذَا ابْتَلَيْتُهُ بِحَبِيبَتَيْهِ – يُرِيدُ عَيْنَيْهِ – ثُمَّ صَبَرَ عَوَّضْتُهُ الْجَنَّةَ"[٢]. وعلى الرغم من عظيم ضرر فَقْدِ البصر، هناك ما هو أشد وأنكى، وهو: عمى البصيرة، وصدق الله العظيم

---

(١) الإسراء: ٧٢.

(٢) صحيح البخاري: (٥٦٥٣).

القائل: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ**﴾(١). قال السعدي رحمه الله: "أي: هذا العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات، وأما عمى البصر، فغايته بلغة، ومنفعة دنيوية"(٢).

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال الطبري رحمه الله: "ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلاً، يقول: وأضلّ طريقاً منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها"(٣).

وقال الشنقيطي رحمه الله: "المراد بالعمى في هذه الآية الكريمة: عمى القلب لا عمى العين، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ**﴾(٤) لأن عمى العين مع إبصار

---

(١) الحج:٤٦.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٤١).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠٥).

(٤) الحج: ٤٦.

القلب لا يضر، بخلاف العكس، فإن أعمى العين يتذكر فتنفعه الذكرى ببصيرة قلبه، قال تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ * وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ**﴾[١]"[٢].

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: إن العمى الحقيقي الذي خطره عظيم ومآله وخيم؛ هو: عمى البصيرة، وليس عمى البصر؛ لأن من عميت بصيرته خسر الدنيا والآخرة، والبصيرة كما يُعَرِّفها ابن القيم رحمه الله: "نورٌ يقذفه الله في القلب، يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل، كأنه يشاهده رأي عين"[٣]. وهناك ترابط وثيق بين نور البصيرة، وبين الالتزام بشرع الله تعالى أمراً ونهياً، فكلما كان الإنسان بشرع الله أوثق ومن الله أقرب ازداد نور بصيرته.

ثانياً: موضع البصيرة القلب، الذي يُعَد الموجه الأساس لحركات الإنسان وسكناته، ومكمن الخير والشر، فمن مات قلبه عميت بصيرته،

---

(١) عبس: ١-٤.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٧٦).

(٣) مدارج السالكين، (١/ ٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأضحى يتخبط في متاهات الحياة لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، وصدق رسولنا صلى الله عليه وسلم: "ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْب"[١]. قال ابن رجب رحمه الله: "فإذا كان القلب صالحاً ليس فيه إلا إرادة الله وإرادة ما يريده لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله، فسارعت إلى ما فيه رضاه، وكفت عما يكرهه، وعما يخشى أن يكون مما يكرهه"[٢].

ثالثاً: يجب على المسلم العناية التامة بصلاح قلبه، والمحافظة عليه من الزيغ والضلال، وأنجع الوسائل لذلك: الدعاء. فمن أدعية القرآن الكريم، ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ**﴾[٣]. قال ابن باز رحمه الله: "هذا من الدّعاء العظيم، من دُعاء الرَّاسخين في العلم، فينبغي الإكثار من هذا الدعاء العظيم؛ لما فيه من الخير العظيم، وطلب الثَّبات في القلب، وطلب الرحمة، فهو دعاء عظيم، جديرٌ بالمؤمن والمؤمنة، وبكل طالب علمٍ أن يدعو به، كما دعا به الرَّاسخون في

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٢)، صحيح مسلم: حديث رقم: (١٥٩٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٢).

(٣) آل عمران:٨.

العلم". وهناك أدعية نبوية عديدة في هذا الباب، منها: قالتُ أمِّ سلمةَ رضي الله عنها: كانَ أَكْثرُ دعاء النبي صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: "يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ"[١].

رابعاً: من الوسائل المهمة لتقوية البصيرة؛ الاستزادة من العلم الشرعي، ومعرفة الحلال والحرام، فكلما ازداد الإنسان علماً كان أعرف بما يُعين على صفاء قلبه ونور بصيرته، فمن يعلم ليس كمن لا يعلم، وصدق الله العظيم: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾**[٢]. قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيراً، ولا يخافون بسيئها شراً ؟ يقول: ما هذان بمتساويين"[٣].

---

(١) الألباني، صحيح الترمذي، حديث رقم: (٣٥٢٢).

(٢) الزمر: ٩.

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٨). انظر: مقال للكاتب: ملامح تربوية مستنبطة من قول الله تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" على موقع الألوكة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامساً: الآية الكريمة موضوع المقال تأتي ضمن السنة الإلهية والقاعدة العدلية: **"الجزاء من جنس العمل"**. وهذه القاعدة لها شواهدها في القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ**﴾[١]. ومن السنة النبوية الشريفة، قال صلى الله عليه وسلم: "من نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ في الدُّنيا يسَّرَ اللَّهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن سَترَ على مُسلمٍ في الدُّنيا سترَ اللَّهُ علَيهِ في الدُّنيا والآخرةِ، واللَّهُ في عونِ العَبدِ، ما كانَ العَبدُ في عونِ أخيهِ"[٢]. وعلى حسب القاعدة المشار إليها، فمن اجتهد في معالجة عمى البصيرة بالأسباب الشرعية، ومن أهمها: الاستمرار في الدعاء، وطلب العلم الشرعي المؤصل من الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة الصالح رحمهم الله، فقد خطى خطوات عملية ناجعة بتوفيق الله تعالى في عافية نفسه من عمى البصيرة، واستبدل عنها نوراً يجده في حياته وبرزخه وآخرته.

---

(١) الصف:٥.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٩٩).

سادساً: تطبيقاً للسنة الإلهية والقاعدة العدلية **"الجزاء من جنس العمل"** المشار إليها في الفقرة **(خامساً)**، وتوافقها التام مع الآية موضوع المقال، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ**﴾(١)، والعلاقة الترابطية في الآية المشار إليها واضحة؛ فمن أعرض عن ذكر الله تعالى تكون النتيجة: معيشته في الدنيا ضنكاً ويُحْشَر يوم القيامة أعمى. قال ابن باز رحمه الله: "هذا وعيد شديد فيمن أعرض عن ذكر الله، وعن طاعته، فلم يؤد حق الله هذا جزاؤه، تكون معشيته ضنكاً وإن كان في مال كثير وسعة، لكن يجعل الله في عيشته ضنكًا لما يقع في قلبه من الضيق والحرج والمشقة، فلا ينفعه وجود المال، يكون في حرج، وفي مشقة بسبب إعراضه عن ذكر الله، وعن طاعة الله جل وعلا ثم يحشر يوم القيامة أعمى".

---

(١) طه: ١٢٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سابعاً: يبلغ عمى البصيرة مداه عندما يصل بالإنسان إلى الشرك بالله تعالى والعياذ بالله، لما يترتب عليه من خسران في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا**﴾(١). قال السعدي رحمه الله: "يُخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحداً من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه، فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين، ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد. وهذا بخلاف الشرك، فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً، وما لهم يوم القيامة ﴿**مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ**﴾(٢)"(٣).

---

(١) النساء:٤٨.

(٢) الشعراء:١٠٠-١٠١.

(٣) تفسير السعدي (ص: ١٨١).

ثامناً: يتفاوت الناس في عمى البصيرة، قوة وضعفاً بقدر ما لديهم من توفيق الله تعالى أولاً، ثم بما لديهم من علم ومعرفة وتقوى وإخلاص واجتهاد في عبادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ**﴾(١). قال المراغي رحمه الله: "إن الأمة في العمل أقسام ثلاثة: مقصّر في العمل بالكتاب مسرف على نفسه، ومتردد بين العمل به ومخالفته، ومتقدم إلى ثواب الله بعمل الخيرات وصالح الأعمال بتيسير الله وتوفيقه"(٢).

تاسعاً: إن الدنيا ميدانُ عمل ومسابقة في الخيرات، فالموفق من اجتهد في طاعة ربه عز وجل وجعل الآخرة همه ونصب عينيه، ولم ينشغل بالدنيا إلا بقدر حاجته منها؛ لأن الشغف بها من أسباب عمى البصيرة فيضر بآخرته، وقد يورده المهالك والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿**وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ**

---

(١) فاطر:٣٢.

(٢) تفسير المراغي (٢٢/ ١٣٠).

إِلَيْكَ﴾[١]. قال الطبري رحمه الله:" والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا وقوله: **"وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا"** يقول: ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينجيك غداً من عقاب الله[٢]. ثم قال رحمه الله: "قوله: **﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾** يقول: وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاكه الله، في وجوهه وسبله، كما أحسن الله إليك، فوسع عليك منه، وبسط لك فيها"[٣].

عاشراً: من أسباب عمى البصيرة الرئيسة الغفلة، وأشدها ما يصل بالإنسان إلى الشرك والبعد عن الله سبحانه وتعالى والعياذ بالله – وقد تم الإشارة إلى خطورة ذلك في الفقرة: **(سابعاً)** –، ثم غفلة عن تعظيم الله وتقديره حق قدره، ثم غفلة عن العناية بالقرآن الكريم قراءة وتدبراً وتطبيقاً، وغفلة عن فرائض الله ونوافل العبادات من صلوات وأذكار شرعية، وكل ما يُقرب إلى الله تعالى. والواجب عن المسلم أن يحذر كل الحذر من خطورة الغفلة ومستوياتها وتبعاتها

---

(١) القصص:٧٧.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٤).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٥).

ليكون من الله تعالى أقرب بإتباع أوامره واجتناب نواهيه، فيزداد قلبه إيماناً وتقوى فينعكس ذلك على نور بصيرته، وصدق الله العظيم: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ**﴾(١) .

---

(١) البقرة:١٨٢. انظر كتاب: "احذروا الغفلة" دراسة لمواضع الغفلة في القرآن الكريم ومعالجتها من منظور تربوي إسلامي على صفحة الكاتب – موقع الألوكة.

(١١)

إكرام اللّه شرف عظيم

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾

إكرام الله شرف عظيم

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[١].

تمهيد:

إن الله تعالى مالكُ الملك؛ مُصرف الأمور؛ كُل شيء بيده سبحانه؛ له مقاليد السموات والأرض، يُعز من يشاء ويُذل من يشاء جل جلاله، لا يُسْأل عما يفعل وهم يُسألون، وجعل لنيل إكرامه أسباباً، وهي طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾[٢]. قال السعدي رحمه الله: "﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ إلى الصراط المستقيم، قولاً وعملاً؛ فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال"[٣]. وقال القاسمي رحمه الله: "ولما تضمن قوله تعالى: ﴿تَهۡتَدُواْ﴾ إشارة إلى وعد كريم ومستقبل فخيم"[٤]. وعلى ذلك فمن رام هداية الله

(١) الحج: ١٨.

(٢) النور: ٥٤.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٧٢).

(٤) تفسير القاسمي (٧/ ٤٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعالى وإكرامه فليس له سبيل إلا الأخذ بأسباب طاعته، ولا شك أن لزوم صراط الله المستقيم مجلبة لخيري الدنيا والآخرة، ومن حاد عن الصراط المستقيم وتمرد على شرع الله تعالى فقد خاب وخسر وإن بلغ ما بلغ من حظوظ الدنيا، ولا يلومن إلا نفسه، وصدق الله العظيم: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا**﴾[١].

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: ومن يُهنه الله من خلقه فَيُشْقِه، ﴿**فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ**﴾ بالسعادة يسعده بها، لأن الأمور كلها بيد الله، يوفِّق من يشاء لطاعته، ويَخْذِل من يشاء، ويُشْقي من أراد، ويُسْعد من أحبّ، وقوله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد كرامته، لأن الخلق خلقه والأمر أمره، ﴿**لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ**﴾[٢]"[٣].

---

(١) الجاثية: ١٥.

(٢) الأنبياء: ٢٣.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٧).

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: كثيراً ما يُقَرِّر القرآن الكريم سُنناً كونية واجتماعية في مجالات الحياة، ومنها سُنن العدل والجزاء، والآية موضوع المقال تُقَرِّر سنة قرآنية محكمة؛ أن العبدَ إذا هان على الله تعالى حَجَبَ عنه الإكرام، ومن لم يُكْرمه الله عز وجل فليس له مُكرم البتة، ﴿**وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ**﴾(١). وسُنن الله تعالى في الخلق لا تحابي أحداً، لا تتبدل، ولا تتغير: ﴿**فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاًۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلاً**﴾(٢). قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم"(٣). وهذا تنبيه مهم في الآية الكريمة؛ وفي الآية موضوع المقال أن سُنن الله تعالى الجارية في الخلق لمن بغى وتجاوز الحدود الشرعية لن تتبدل ولن تتحول، فالسعيد من اتعظ بغيره قبل فوات الأوان،

---

(١) آل عمران: ٢٦.

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٨٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال عبد الرزاق البدر حفظه الله: "ومن لم يعتبر بحال غيره من المفرطين الذين سبقوه كان لمن بعده عبرة"(١).

ثانياً: يُوصف بعض البشر قديماً وحديثاً بشدة الكرم والمبالغة في الجود، وقد خَلَّد التاريخ أسماء كثير ممن عُرفوا بكرمهم وسخائهم منهم: حاتم الطائي، وعبد الله بن جُدعان وغيرهم، وفي مقدمة جود البشر على الإطلاق كَرَمُ نبينا صلى الله عليه وسلم؛ كما جاء في الحديث؛ "**كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أجودَ الناسِ بالخيرِ، وكان أجودَ ما يكون في شهرِ رمضان**"(٢). وكان عليه الصلاة والسلام يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر، كما ورد في الحديث؛ "**أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ غنَمًا بيْنَ جبَلَيْنِ، فأعْطَاهُ إيَّاهُ، فأتَى قَوْمَهُ فَقالَ: أَيْ قَوْمِ، أَسْلِمُوا؛ فَوَ اللَّهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً ما يَخَافُ الفَقْرَ**"(٣).

(١) الموقع الرسمي للشيخ عبدالرزاق البدر تحت عنوان السعيد من اتعظ بغيره.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦)، صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٣٠٨).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٣١٢).

ثالثاً: هذا الكرم في حق البشر؛ الوارد في الفقرة **(ثانيا)** خَلَّدَهُ التاريخ، فكيف بإكرام أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، إكرام لا حد له، ولا منتهى لمداه في شتى المجالات المادية والمعنوية، ومن الصعب بسْط ذلك، وإليك لمحة عابرة، وقطرة من بحر إكرام الله تعالى وإحسانه، جاء في الحديث القدسي؛ "**مَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كُتِبَتْ له حَسَنَةً، ومَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَعَمِلَها، كُتِبَتْ له عَشْرًا إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، لَمْ تُكْتَبْ، وإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ**"(١). وجميل وصف الغزالي رحمه الله لاسم الله الكريم؛ قال: "هو الّذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرّجاء، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفى عاتب، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويُغنيه عن الوسائط والشّفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتّكلّف، فهو الكريم المطلق وذلك لله سبحانه وتعالى فقط"(٢). وجاء تعريف الكريم عند السعدي

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٣٠).

(٢) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص ١١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رحمه الله أنه: "كثير الخير يَعُم به الشاكر، والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها"[١].

رابعاً: إن من أعظم إكرام الله عز وجل للعبد أن يهديه للإسلام، ويُشرفه بعبوديته وتوحيده، ويجعله على صراط مستقيم، لأن ذلك فضل وإحسان واصطفاء لا يناله كل أحد، وأن أعظم إهانة للعبد وليس بعدها إهانة أن يجعله يتخبط في أوحال الشرك المخزية ولوث المعاصي والذنوب؛ ومآله جهنم وبئس المصير، والعياذ بالله إن لم يتداركه الله سبحانه بكرمه ولطفه وإحسانه، قال تعالى: ﴿**مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[٢]. قال القاسمي رحمه الله: "أي: فهو المتصرف في خلقه بما يشاء، فمن أحب هدايته، وفَّقه بفضله وإحسانه للإيمان، ومن شاء ضلالته تركه على كفره؛ ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾[٣]"[٤].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، (ص: ٢٢٥).

(٢) الأنعام: ٣٩.

(٣) النور: ٤٠.

(٤) تفسير القاسمي (٤/ ٣٥٨).

خامساً: من وفِّق لنيل إكرام الله تعالى بالهداية للإسلام، وتشرف بعبودية الله وتوحيده، فحري به أن يحرص أشد الحرص للمحافظة على مرضاة الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه، فتقوى الله تعالى أساس وأصل الإكرام، قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ**﴾[١]. قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أشدّكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتاً ولا أكثركم عشيرة"[٢]. وفي هذا السياق يؤكد ابن القيم رحمه الله: "أن المعصية سبب لهوانِ العبد على ربه، وسقوطِه من عينه، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال تعالى: ﴿**وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ**﴾[٣]. وإنْ عظّمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم، أو خوفًا من شرّهم، فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه"[٤].

---

(١) الحجرات:١٣.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣١٢).

(٣) الحج: ١٨.

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص ١٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سادساً: إذا وُفق العبد للزوم صراط الله المستقيم فقد نال إكرام الله تعالى له، وفُتِح له الخير من أوسع أبوابه، وصدق الله تعالى: ﴿**وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا**﴾[١]. قال الطبري رحمه الله: "لوسعنا عليهم في الرزق، وبسطناهم في الدنيا[٢]. ويُعَرِّف ابن رجب رحمه الله الاستقامة أنها: "سلوكُ الصراط المستقيم؛ وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك: فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الخير كلها"[٣]. ويتضح وجود رابط قوي بين الاستقامة والإكثار من الطاعات، والنتيجة؛ حصول خصال الخير كلها بفضل الله وإحسانه، ويشهد لذلك ما جاء في الحديث القدسي: **"وما يزالُ يتقرَّبُ عبدي إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الَّذي يسمعُ بِهِ وبصرَهُ الَّذي**

(١) الجن: ١٦.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٢).

(٣) جامع العلوم والحكم، الحديث الواحد والعشرون، (١/ ٥١١).

يبصرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يبطشُ بِها ولئن سألني لأعطينَّهُ ولئن دعاني لأجيبنه ولئن استعاذَني لأعيذنَّهُ"[١].

سابعاً: هناك من ينخدع عندما يرى في الظاهر أن المنحرفين عن منهج الله تعالى بالكفر، أو الفسق والضلال والمجاهرة به أنهم في سعادة وفرح وأنس لا مثيل له؛ فهذا لا يمكن البتة، وهو مخالف لسنن الله تعالى في خلقه، وإن حصل لهم شيء من المتاع المؤقت لكن عاقبته وخيمة والعياذ بالله تعالى، قال سبحانه: ﴿**مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ**﴾[٢]. قال القرطبي رحمه الله تعالى: "هذا دليل على أن الكفار غير منعم عليهم في الدنيا، لأن حقيقةَ النعمة الخلوص من شوائب الضرر العاجلة والآجلة، ونعمُ الكفار مشوبة بالآلام والعقوبات، فصار كمن قدم بين يدي غيره حلاوة من عسل فيها السم، فهو وإن استلذ آكله لا يُقَال: أنعم عليه، لأن فيه هلاك روحه"[٣]. نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٥٠٢).

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٣٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثامناً: حذّر القرآن الكريم من الإعجاب بأهل الكفر والفسق والضلال، وما مدهم به الأموال والأولاد وما ظهر عليهم من النعم؛ وفي ظنهم أنها من إكرام الله لهم؛ ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ**﴾(١). فجاء التحذير من الله تعالى بعدم الإعجاب بهم، قال تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ**﴾(٢). قال البغوي رحمه الله: "لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد؛ لأن العبد إذا كان من الله في استدراج كثّر الله ماله وولده، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا**﴾. فإن قيل: أي تعذيب في المال والولد وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟ قيل: يعذبهم بالتعب في جمعه، والوجل في حفظه، والكره في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده، ثم يقدم على ملك لا يعذره"(٣).

---

(١) المؤمنون: ٥٥-٥٦.

(٢) التوبة: ٥٥.

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٥٩).

(١٢)

العلاقات بين الابتلاء والصبر

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

العلاقات بين الابتلاء والصبر

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[(١)].

تمهيد:

تَعُجُّ الحياة كلها بالتحديات والمنغصات، وخصوصاً في باب العلاقات الاجتماعية، وهذا كله من الابتلاء الذي لا يسلم منه الإنسان في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[(٢)]. ولا شك أن لذلك أجراً كبيراً، وفضلاً عظيماً من الله تعالى عند مواجهته بالصبر والحكمة، وقد جاءت الآية موضوع المقال مؤكدةً على قيمة الصبر كحل أمثل، وعلاج ناجع للمحافظة على العلاقات الاجتماعية؛ وخصوصاً بين الأقارب، والأرحام، والجيران، والأصدقاء.

(١) الفرقان: ٢٠.
(٢) الملك: ٢.

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال القرطبي رحمه الله: "إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني، ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه"(١).

إن المتأملَ للآية الكريمة يجدها تركز على جوانب أربعة:

١. حتمية تكوين العلاقات البشرية.

٢. الفتنة: الاختبار والابتلاء.

٣. الصبر على أقوال الناس وأفعالهم.

٤. إحاطة علم الله تعالى بحركات الناس وسَكناتهم.

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

(١) تفسير القرطبي (١٣/ ١٨).

أولاً: أن الطبيعةَ البشرية لا تنفك عن الحاجة إلى تكوين علاقات اجتماعية، بل هي من ضروريات الحياة، وهي ذات مستويات وأبعاد مختلفة ومتنوعة، قال تعالى: ﴿**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾[١]. قال ابن كثير رحمه الله: "ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا"[٢].

ثانياً: أكدتِ السنة النبوية المطهرة على حقيقة المضايقات والصعوبات التي تحدث من مخالطة الناس بعضهم لبعض وأهمية الصبر عليها. وجاء هذا التوجيه النبوي موجهاً للمؤمنين، والإيمان من أعلى مراتب الدين، والمؤمن في الغالب الأكثر استجابة وتحملاً للمسؤوليات والصبر عليها ابتغاء ما عند الله من الأجر والمثوبة، قال صلى الله عليه وسلم: "**المؤمنُ الذي يُخالِطُ الناسِ ويَصبِرُ على أذاهُمْ، أفضلُ من المؤمِنِ الَّذي لا يُخالِطُ النَّاسَ ولا يَصبرُ على أذاهُمْ**"[٣].

---

(١) الزخرف: ٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٨).

(٣) الألباني، صحيح الجامع، (٦٦٥١).

ثالثاً: أن الله سبحانه خالق الإنسان، العليم بحاله وشؤونه كلها؛ ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[1]. أنه طالما هناك علاقات بشرية قائمة، فإنها لا تخلو غالباً من مد وجزر، واختلاف في وجهات النظر، مما قد ينتج معه ردود أفعال ربما تصل إلى إلحاق الضرر بأحد الأطراف، وهذه حقيقة مهمة للغاية يجب ألا تغيب عن الأذهان؛ ولذلك لابد من الحكمة في التعامل مع الآخرين، وأخذ الحيطة والحذر في كافة التعاملات والعلاقات البشرية لتكون أكثر استقرار، ويحوطها الرفق واللين.

رابعاً: لما كان تكوين العلاقات البشرية مظنة الفتنة، فليس من الحكمة التوسع فيها دون حاجة ماسة، فالأولى أن تكون علاقاتنا محدودة، وإن وُجدت تكون منضبطة بأدبيات وأخلاقيات التعامل البشري الراقي.

خامساً: من المنطلقات الأساسية في الحياة التي يجب أن تكون واضحة في عقل ووجدان كل مسلم أن الحياة ليست دار بقاء وسعادة لا

---

(١) الملك: ١٤.

منغصات فيها، بل هي دار فناء وعناء وكبد، وهذا يقع تحت دائرة الابتلاء، التي أوضحها القرآن الكريم غاية الايضاح في غير ما آية، ومنها قوله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾(١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أي: جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم"(٢).

سادساً: لما كانت العلاقات الاجتماعية حتميةَ الوجود لكون الإنسان كائن اجتماعي بطبعه وتكوينه، والاختلاف والتآلف بين البشر قد تحكمها أمور قدرية خارج عن قدرة الإنسان وسيطرته، قال صلى الله عليه وسلم: "**الأرواح جنودٌ مُجنَّدةٌ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**"(٣). قال النووي رحمه الله: "قيل: لأنها خلقت مجتمعة، ثم فرقت في أجسادها، فمن وافق بشيمه ألفه، ومن باعده نافره وخالفه"(٤).

---

(١) الملك: ٢.

(٢) تفسير البغوي (٦/ ٧٧).

(٣) صحيح مسلم، رقم: (٢٦٣٨).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٦/ ١٨٥).

سابعاً: من الأهمية أن يستقرَّ في وجدان المسلم أن العلاقات مهما طالت لابد من الفراق، وهذا مصداق حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم: "**أتاني جبريلُ عليه السَّلامُ؛ فقال: يا محمَّدُ عِشْ ما شئتَ فإنَّك ميِّتٌ، وأحبِبْ من شئتَ فإنَّك مفارقُه**"[١]. هذا التوجيه النبوي يجعل الإنسان المسلم في حالة من الهدوء والاستقرار النفسي عند حدوث أي داعٍ للفراق وتشتت للعلاقات مهما كان بينها من أواصر الحب والقرابة.

ثامناً: من لوازم استمرار العلاقات ونجاحها عدم التدقيق على كل صغيرة وكبيرة؛ بمعنى أوضح: إجادة فن التغافل، فهو من الحكمة ومن كمال العقل.

تاسعاً: قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[٢]. قال القرطبي رحمه الله: "هو أمر

(١) الطبراني، المعجم الأوسط، (٤٢٧٨).
(٢) المائدة:٢.

لجميع الخلق بالتعاون على البرِّ والتقوى؛ أي: لِيُعِنْ بعضُكم بعضًا، وتحَاثُّوا على أمر الله تعالى واعمَلوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه، وامتنعوا منه"(١).

فالواجب على منظومة العلاقات البشرية العناية بالتعاون فيما بينهم بما يحقق الخير والنفع للناس، وتجنب التعاون على إلحاق الضرر بهم. والتعاون المثمر يعزز الروابط الإنسانية ويحقق التقدم والرخاء للمجتمع وللبشرية عامة.

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٤٦).

(١٣)

أهمية الإخلاص والتقوى

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهمية الإخلاص والتقوى

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(١).

تمهيد:

إن من أجَلِّ النعم على الإنسان نعمة الهداية إلى الإسلام؛ فهو صراط الله المستقيم، ومنهج حياة في كل شؤونها دِقها وجلها؛ من سَلَكَه وفق شرع الله القويم، وفهم سلف الأمة الصالح رحمهم الله فقد اتبع سبيل المؤمنين، ونال سعادة الدنيا والآخرة، ومن حاد عن سبيل المؤمنين واتبع سبيل المجرمين خاب وخسر الدنيا والآخرة.

وقد بين القرآن الكريم سبيل المؤمنين، وسبيل المجرمين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ

---

(١) الفرقان: ٢٣.

(٢) الأنعام: ٥٥.

غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾[١]. قال ابن القيم رحمه الله: "فالعالمون بالله وكتابه ودينه عَرفوا سبيلَ المؤمنين معرفةً تفصيليةً، وسبيلَ المجرمين معرفةً تفصيليةً، فاستبانتْ لهم السبيلانِ كما يستبين للسالك الطريقُ الموصلُ إلى مقصوده والطريقُ الموصلُ إلى الهلكة؛ فهؤلاء أعلم الخلق، وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم"[٢].

هناك آيات مشابهة للآية موضوع المقال، منها:

- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣].

(١) النساء: ١١٥.

(٢) الفوائد، (ص: ١٥٧).

(٣) البقرة:٢٦٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- وقوله سبحانه: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾(١).
- وقوله جل جلاله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾(٢).
- وقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾(٣).

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال ابن كثير رحمه الله: "هذا يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي،

---

(١) آل عمران:١١٧.

(٢) إبراهيم:١٨.

(٣) النور:٣٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معاً، فتكون أبعد من القبول حينئذ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[١]".

وقال أبو بكر الجزائري رحمه الله: "أي: وعمدنا إلى أعمالهم التي لم تقم على مبدأ الإيمان والإخلاص والموافقة للشرع فصيرناها هباءً منثوراً؛ كالغبار الذي يُرى في ضوء الشمس الداخل مع كوة، أو نافذة لا يقبض باليد، ولا يلمس بالأصابع لدقته وتفرقه، فكذلك أعمالهم لا ينتفعون منها بشيء لبطلانها وعدم الاعتراف بها"[٢].

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: الآية موضوع المقال، والآيات المشابهة لها يتضح منها مدى الخذلان والحرمان وقلة التوفيق والعياذ بالله لمن حاد وابتعد عن منهج الله تعالى والتمسك بشرعه القويم، فمهما عمل في الدنيا من أعمال ظاهرها

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٩٤).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٠٨).

الخير والصلاح، لكن ليس له منها في الآخرة من نصيب، قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾(١). قال المراغي رحمه الله: "ومن كان سعيه موجهاً إلى شؤون الدنيا، وطلب طيباتها واكتساب لذاتها، وليس له همّ في أعمال الآخرة نؤته منها ما قسمناه له، وليس له في ثواب الآخرة حظ، فالأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى"(٢).

ثانياً: قد يسأل سائل أن بعض الكفار لديهم أعمال خير وبر للفقراء والمحتاجين من: إطعام، وعلاج للمرضى، وبناء مساكن للمعوزين ... إلخ، فهل ينتفعون بها وتكون شافعة لهم يوم القيامة؟ أقول: ابتداءً إن الله جل جلاله عدل، ولا يظلم ربك أحداً، وقد أوضح النووي رحمه الله في شرح مسلم تحت باب: **(جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا)**، قال صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بها في الدُّنْيا ويُجْزَى بها في الآخِرَةِ، وأَمَّا الكافِرُ فيُطْعَمُ بحَسَناتِ ما**

---

(١) الشورى: ٢٠.

(٢) تفسير المراغي (٢٥/ ٣٥).

عَمِلَ بها لِلَّهِ في الدُّنيا، حتَّى إذا أفْضَى إلى الآخِرَةِ، لَمْ تكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها"[١]. وعلق رحمه الله على هذا الحديث قائلاً:" أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا، متقرباً إلى الله تعالى، وصرح في هذا الحديث بأن يُطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقرباً به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها، وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة، ويجزى بها مع ذلك أيضاً في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة"[٢].

ثالثاً: إن أساسَ قبول الأعمال الصالحة؛ تقوى الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾[٣]. قال الطبري رحمه الله: "أي: الذين اتقوا الله

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٢ حديث ٢٨٠٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٠).

(٣) المائدة:٢٧.

وخافوه بأداء ما كلفهم من فرائضه واجتناب ما نهاهم عنه من معصيته"[١].

وقال محمد رشيد رضا رحمه الله: أي: "الذين يتقون الشرك الأكبر والأصغر، وهو الرياء والشح واتباع الأهواء، فاحمل نفسك على تقوى الله والإخلاص له في العمل، ثم تقرب إليه بالطيبات يتقبل منك، فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً"[٢].

رابعاً": هناك ثلاثة شروط لقبول الأعمال الصالحة، أوضحها الشنقيطي رحمه الله بأدلتها عند تفسير قول الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٣]. وهي:

"**الأول:** موافقتُه لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله يقول: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢١١).

(٢) تفسير المنار (٦/ ٢٨٣).

(٣) النحل: ٩٧.

(٤) الحشر:٧.

الثاني: أن يكونَ خالصًا لله تعالى؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[١]، ﴿**قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي * فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ**﴾[٢].

الثالث: أن يكونَ مبنيًا على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله يقول: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾[٣] فَقُيِّد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته؛ أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح"[٤].

خامساً: إن إكرامَ الله تعالى للعبد بنعمة الإسلام اصطفاء، وفضل، وإحسان من رب العالمين، فكم من خليقة على وجه الأرض لم يُكرمهم الله بهذه النعمة الجليلة التي لا عدل لها، قال تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ**

---

(١) البينة: ٥.

(٢) الزمر: ١٤-١٥.

(٣) النحل: ٩٧.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٤٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[١]. قال السعدي رحمه الله: "إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذاً به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومَنَّ عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق، وأن علامة من يرد الله أن يضله، أن يجعل صدره ضيقاً حرجاً، أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، ولا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد إلى السماء"[٢].

سادساً: إن النعمَ التي أنعم الله بها على عباده لا تُعد ولا تُحصى، قال تعالى: **﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾**[٣]، ومن أجلها وأعظمها نعمة الإسلام، فالواجب على العبد الموفق أن يتذكر دائماً نعم الله عليه، ويلهج لسانه بحمد الله وشكره مع كل نفس، فالله تعالى يحب أن

---

(١) الأنعام:٢٥.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٧٢).

(٣) النحل:١٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يُشكر، وأمر عباده بشكره، قال تعالى: ﴿**فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ**﴾[٢].

والشكر تعظيم لله وتقديره، ومن كمال عبادة العبد لربه جل جلاله، والشكر نفعه للعبد نفسه لأن الله تعالى غني عن عباده، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[٣].

سابعاً: الواجبُ على المسلم الموفق قبل الشروع في أي عمل يتقرب به إلى الله تعالى أن يكونَ على بصيرة وعلم وفقه في الدين، حتى لا يذهب عمله في مهب الريح كالهباء المنثور، وتنطبق عليه الآية الكريمة موضوع المقال؛ قال صلى الله عليه وسلم: "**مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**"[٤].

قال النووي رحمه الله: "فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين، والحث عليه،

---

(١) البقرة: ٥٢.

(٢) البقرة: ١٧٢.

(٣) لقمان: ١٢.

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٧١)، صحيح مسلم، حديث رقم: (١٠٣٧).

www.alukah.net

وسببه: أنه قائد إلى تقوى الله تعالى"(١). وقال ابن باز رحمه الله يفهم من الحديث: **"مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ"**، "الذي ما تفقه في الدين ما أراد الله به خيراً". فالذي نال قسطاً من العلم الشرعي أقرب الناس إلى معرفة ربه عز وجل؛ فيجتهد في عبادته سبحانه بما شرع مراعياً شروط وضوابط قبول العمل: **(الإخلاص، الاتباع، العقيدة الصحيحة)**. ولا شك لا يستوي بين من يعلم ومن لا يعلم بنص القرآن الكريم: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٢).

---

(١) شرح النووي على مسلم، (٧/١٢٨).

(٢) الزمر: ٩.

(١٤)

الضلال نفق مظلم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ
شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الضلالُ نفق مظلم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾(١).

تمهيد:

إن الله تعالى لما خَلق الخَلق لم يَتْرُكهم هملاً، بل أنزل لهم شريعةً واضحةً المعالم لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، وصدق الله تعالى: **﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾**(٢). قال ابن كثير رحمه الله: "هذه أكبر نِعَمَ الله، عز وجل، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم

---

(١) ص: ٢٦.

(٢) المائدة:٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه"(١).

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحقّ الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذابٌ شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله. يقول: بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله ﴿**يَوْمَ ٱلْحِسَابِ**﴾ من صلة العذاب الشديد"(٢).

قال سيد طنطاوي رحمه الله: "إن الذين يضلون عن دين الله وعن طريقه وشريعته، بسبب اتباعهم للهوى، لهم عذاب شديد لا يعلم مقداره إلا الله تعالى؛ لأنهم تركوا الاستعداد ليوم الحساب، وما فيه من ثواب وعقاب"(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٨٩).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٢/ ١٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: إن الله تعالى أقام الحجة على الناس بإرسال الرسل لهم ليبنوا لهم دين الله تعالى، قال سبحانه: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**﴾(١)، فقد أوضح كلُّ رسول لقومه دين الله الحق، ورسولنا الخاتم صلى الله عليه وسلم أدى الأمانة، ونصح الأمة، وأرشد إلى سبيل الله الواجب اتباعه، وحذَّر من السُبُلِ المتفرقة، كما جاء في الحديث الشريف: "خطَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خطًّا بيدِه، ثم قال: هذا سبيلُ اللهِ مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال: هذه السبلُ، ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ**﴾(٢)"(٣).

---

(١) إبراهيم: ٤.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) أحمد، المسند، رقم:(٤١٤٢)، النسائي، السنن الكبرى، رقم:(١١١٧٤).

ثانياً: إن من أجل النعم على الإنسان نعمة الهداية إلى الإسلام؛ فهو صراط الله المستقيم، ومنهج الحياة القويم في كل شؤونها دقها وجلها؛ من سلكه وفق ما شرع الله تعالى، وفهم سلف الأمة الصالح رحمهم الله، فقد اتبع سبيل المؤمنين، ونال سعادة الدنيا والآخرة، ومن حاد عن سبيل المؤمنين، واتبع سبيل المجرمين خاب وخسر في الدنيا والآخرة، وقد بين القرآن الكريم سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ**﴾[٢]. قال ابن القيم رحمه الله: "فالعالمون بالله وكتابه ودينه عَرفوا سبيلَ المؤمنين معرفةً تفصيليةً، وسبيلَ المجرمين معرفةً تفصيليةً، فاستبانتْ لهم السبيلانِ كما يستبين للسالك الطريقُ الموصلُ إلى مقصوده، والطريقُ الموصلُ إلى الهلكة؛ فهؤلاء أعلم الخلق، وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم"[٣].

---

(١) الأنعام: ٥٥.

(٢) النساء: ١١٥.

(٣) الفوائد، (ص: ١٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثاً: إن الله تعالى عَدْلُه مطلق، وحِكْمَتُه بالغة لا يظلم مثقال ذرة، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وجعل لهم إرادة كاملة في اختيار الخير والشر، والتقدم والتأخر، قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾(١)، ومن سعى للخير وتقدم إليه، ومن تأخر عنه، كل ذلك لا يخفى على الله منه شيء، قد أحاط الله بكل شيء علماً، قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ**﴾(٢). قال سيد طنطاوي رحمه الله: "أي: إن ربَّك الذي لا تخفى عليه خافية هو أعلم منك ومن سائر خلقه بمن يضل عن طريق الحق، وهو أعلم منك ومن سائر الخلق أيضاً بالمهتدين السالكين صراطه المستقيم، فعليك أيها العاقل أن تكونَ من فريق المهتدين لتسعد كما سعدوا، واحذر أن تركن إلى فريق الضالين، فتشقى كما شقوا"(٣).

رابعاً: من فضل الله تعالى على عباده وإحسانه أن من اتبع سبيله؛ وجب له دعاء الملائكة بالمغفرة، واتقاء عذاب الجحيم، قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ**

(١) الحج:١٠.

(٢) الأنعام:١١٧.

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ١٦٤).

يَحمِلونَ العَرشَ وَمَن حَولَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمدِ رَبِّهِم وَيُؤمِنونَ بِهِ وَيَستَغفِرونَ لِلَّذينَ آمَنوا رَبَّنا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمَةً وَعِلمًا فَاغفِر لِلَّذينَ تابوا وَاتَّبَعوا سَبيلَكَ وَقِهِم عَذابَ الجَحيمِ﴾(١). قال ابن عثيمين رحمه الله: "﴿**وَاتَّبَعوا سَبيلَكَ**﴾؛ أي: طَريقك، وهو دِين الإسلام، سَواءٌ كان إسلام مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، أو إسلام من قَبْله؛ لأن هذا الدُّعاءَ عامٌّ لكُلِّ المؤمنين"، وقال الطبري رحمه الله: وقوله: "﴿**وَاتَّبَعوا سَبيلَكَ**﴾؛ أي: وسلكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه، ولزموا المنهاج الذي أمرتهم بلزومه، وذلك الدخول في الإسلام"(٢).

خامساً: إن من أعظم نعم الله على العبد أن يهديَه للإسلام ويجعله على صراط مستقيم، لأن ذلك فضل وإحسان واصطفاء لا يناله كل أحد، قال تعالى: ﴿**مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾(٣). قال القاسمي رحمه الله: "أي: فهو المتصرف في خلقه بما يشاء، فمن أحب هدايته، وفقه بفضله وإحسانه للإيمان، ومن شاء ضلالته

---

(١) غافر: ٧.

(٢) تفسير العثيمين (سورة غافر، ص: ٩٠).

(٣) الأنعام: ٣٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تركه على كفره؛ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[(١)]"[(٢)].

سادساً: إن أعظمَ الضلال، وأشد الحرمان؛ الكفرُ بالله، والإشراك به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[(٤)]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: فقد سلك غير الطريق الحق، وضلّ عن الهدى، وبعُد عن الصواب، وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة، وفاتته سعادة الدنيا والآخرة"[(٥)].

سابعاً: حذّر القرآن الكريم من أسباب الضلال، ومن أهمها:

- الشيطان؛ العدو المتخصص في إضلال الناس وإغوائهم، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ

(١) النور: ٤٠.

(٢) تفسير الفاتحة مثالا على تدبر القرآن (ص: ٧٧).

(٣) البقرة:١٠٨.

(٤) النساء:١١٦.

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٦).

ٱلسَّعِيرِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿**وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ**﴾(٢).

- إتباع هوى النفس والاستجابة لها، جاء القرآن الكريم محذراً منه، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ**﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿**أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ**﴾(٤).
- سوء اختيار الأصحاب مهلكة في الدنيا والآخرة، نبه القرآن الكريم لذلك، قال تعالى: ﴿**يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا * لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي**﴾(٥) .
- الانسياق وراء الأكثرية دون تبصر وإدراك، حذر القرآن الكريم منه، قال تعالى: ﴿**وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ**﴾(١).

---

(١) الحج: ٤.

(٢) يس: ٦٢.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) الفرقان: ٢٨-٢٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثامناً: من الحرمان وقلة التوفيق أن يصابَ الإنسان بالغفلة، وهذا والعياذ بالله حال أكثر الناس، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾(٢)، وإن التمادي في الغفلة مُفْضِية إلى الإعراض عن الله تعالى، وترك العمل بما شرعه سبحانه، وهو ما عَبَّرَ القرآن الكريم عنه بالنسيان في غير ما آية، ومنها، قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣). قال السعدي رحمه الله: "هذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه، وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه، ولا ملاقيه، ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ أي: تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نَسِيتُمْ نُسِيتُمْ"(٤).

---

(١) الأنعام:١١٦.

(٢) يونس:٩٢.

(٣) السجدة:١٤.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٦٥٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(١٥)

شتان بين مشرق ومغرب

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

شتان بين مشرق ومغرب

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١].

تمهيد:

إن القرآن الكريم منهج حياة، وكتاب هداية يهدي الخلق جميعًا للتي هي أقوم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٢]. قال السعدي رحمه الله: "أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره"[٣].

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

(١) الزمر: ٩.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٥٤).

تضمَّنت الآيةُ الكريمة ملامحَ تربوية عدة غاية في الأهمية، أشير إلى بعضها:

أولًا: عنايةُ الإسلام بالعلم وأهله؛ فأول آية نزلت في القرآن الكريم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[١]. وجعل صلى الله عليه وسلم: "طلب العِلمِ فريضة على كلِّ مسلمٍ"[٢].

ثانيًا: على المسلم الموفق الحرص التام والعناية بتعلم ما يعود عليه بالخير والصلاح في أمر دينه ودنياه، وقد ذمَّ القرآن الكريم حال الذين ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٣]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: أكثرُ الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حُذَّاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عمَّا ينفعهم في الدار الآخرة، كأنَّ أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة"[٤].

---

(١) العلق: ١.

(٢) الألباني، صحيح الجامع، رقم: (٣٩١٤).

(٣) الروم: ٧.

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه "مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ"[١]. قال النووي رحمه الله: "فيه فضيلة العلم، والتفقُّه في الدين، والحث عليه. وسببه: أنه قائد إلى تقوى الله تعالى"[٢].

ثالثًا: البعدُ كل البعد عن الخوض في قضايا وموضوعات ليس للإنسان فيها محصلة علمية كافية؛ لما قد يترتب على ذلك من نتائج عكسية لا تحمد عُقْباها. فمثلًا: الذي يتكلم في أمور طبية، ويصف للناس أنواعًا من العلاجات لأمراض مستعصية دون علم وتمكُّن وخبرة، فإنه قد يُلحق الضرر بالآخرين؛ بل قد يتسبَّب في إزهاق أرواح بريئة، ولات ساعة مندم! وصدق ابن حجر العسقلاني رحمه الله في عبارته الشهيرة، إذ قال: "إذا تكلَّم المرء في غير فنِّه أتى بالعجائب"[٣].

رابعًا: أن العلمَ بحرٌ لا ساحل له، ولم يحط بعلم كل شيء إلا الله جل شأنه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]. أما حال البشر عمومًا

---

(١) البخاري: (٧١)، مسلم: (١٠٣٧).

(٢) النووي، شرح مسلم، (٧/ ١٢٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٥٨٤).

(٤) البقرة: ٢٨٢.

فهم على درجات في العلم، وصدق الله العظيم: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١] ، قال السعدي رحمه الله: "فكل عالم، فوقه مَن هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى عالم الغيب والشهادة"[٢].

خامسًا: تشيرُ الآية الكريمة إلى فقه الموازنات، وفقه الأولويَّات، فالإنسان يُعْمِل فكره، ويوازن بين: الذين يعلمون والذين لا يعلمون. قال الطبري رحمه الله: "والذين لا يعلمون يخبطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرًا، ولا يخافون بسيئها شرًّا"[٣]. فالموفقُ هو الذي يميل قلبه، ويقع اختياره على جانب تحصيل العلم. قال السعدي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٤]؛ "أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل"[٥]. ومن توفيق الله للإنسان أن يسعى جاهدًا إلى التزوُّد منه بكل وسيلة مشروعة، وبخاصة

(١) يوسف: ٧٦.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٠٣).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٦٨).

(٤) الرعد: ١٩.

(٥) تفسير السعدي (ص: ٧٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من العلماء الثقات بحسب كل فن، المشهود لهم بالعلم، والفضل، والصلاح، والتقوى.

سادسًا: مِن أرقى درجات العلم أن يكون طالبُ العلم أولَ من ينتفع بعلمه، ويعمل به قولًا، وعملًا، ويؤكد هذا المعنى القرطبي رحمه الله في تفسيره بقوله: "الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأمَّا من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم"(١).

سابعًا: ليس لأحد عذر اليوم في العزوف عن تلقي العلم، فإنه بفضل الله تعالى وتوفيقه، ثم بالتطور المذهل في توفر الأجهزة التقنية الذكية، والبرامج والتطبيقات العلمية المتميزة، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي بكافة أنواعها ووسائلها تسهل الطريق إلى العلم، وما علينا إلا أن نستعين بالله تعالى، ونشحذ الهمة، ونبذل الجهد، مع الأخذ في الاعتبار العناية التامة بالتحقق من مصادر التلقي، وسلامة المنهج، ومدى الالتزام بما عليه سلف الأمة الصالح من وسطية، واعتدال، وثوابت راسخة مستمدة من كتاب الله تعالى، وسنة نبيِّه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٠).

ثامنًا: يتسع مدى الآية الكريمة لكافة مجالات الحياة العلمية: الشرعية، والتربوية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية...إلخ، وبسعة العلم وقِلَّته يتفاضل الناس. وكلما ازداد الإنسان علمًا في مجال وتخصص وبرز فيه نال قسطًا من الثقة والمكانة. فالواجب على كل من لديه ميول في تخصُّص معين، أو يعمل فيه، فالأولى الإلمام والتمكُّن بقواعده، وكافة موضوعاته؛ دِقّها وجِلّها كلما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وبقدر حصيلته العلمية في ذلك يبرز ويتفوّق ويحقق نجاحات تعود عليه، وعلى مجتمعه، وأمته بالخير.

تاسعًا: من سار واتجه لطلب العلم، واعتنى به، وأصبح أسلوبَ حياة له؛ سواء كان فردًا، أو مجتمعًا، أو أمة، فقد وُفق أيما توفيق. ومن نظر وتأمَّل حال الأفراد المتعلمين، أو المجتمعات المتعلمة، أو الأمة المتعلمة وجد بونًا شاسعًا بينهم، وبين من لم يحظ بشرف العلم وطلبه. وفي الغالب الأعم فإن مؤشر قياس نضج الأفراد وتميُّزهم، وتقدم المجتمعات والأمم يعتمد على المستوى التعليمي ارتفاعًا وانخفاضًا؛ لذلك فإن العلم ونشره والعناية به هو الطريق الأصوب والخيار الأوحد لمن أراد الخير والاستقرار والتفوُّق والتقدُّم.

(١٦)

انحراف الفكر مجلبة لسوء العمل

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾

انحرافُ الفكر مجلبة لسوء العمل

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[١].

تمهيد:

إن تصورَ الإنسان لمجمل علاقاته التي تتطلب منه تفاعلاً إيجابياً معها بحسب مستوى كل علاقة وحجمها ابتداء من علاقته بخالقه سبحانه، مروراً بعلاقاته الاجتماعية الأخرى في إطار منظومة المجتمع التي يعيش فيه؛ كُل تلك العلاقات تتطلب منه منهجاً واضحاً يشمل تفاصيل كل شيء، ولا غرو أن القرآنَ الكريم والسنة النبوية المطهرة قد هيئتا للإنسان في كل زمان ومكان منهجاً ربانياً محكماً لكافة هذه العلاقات، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

---

(١) فاطر:٨.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وحتى تتحقق أعظم استفادة من هذا المنهج الرباني القويم يجب على الإنسان المسلم أن يبذل الجهد والمزيد من الاهتمام والعناية التامة بطلب العلم المؤصل من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وفق سلف الأمة الصالح، حتى يكون في منأى عن الغلو والتطرف، أو الإفراط والتفريط.

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال ابن كثير رحمه الله: "﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا**﴾ يعني: الكفار والفجار، يعملون أعمالاً سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه، ﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ**﴾، أي: بقدره كان ذلك، ﴿**فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ**﴾ أي: لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من

الحجة البالغة، والعلم التام؛ ولهذا قال: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ**﴾"[١].

وقال ابن عاشور رحمه الله: "الوقوعُ في هذه الحالة ناشئ من تزيين الشيطان له سوء عمله، فالمزين للأعمال السيئة هو الشيطان، قال تعالى: ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ**﴾[٢]. فرأوا أعمالهم السيئة حسنة، فعكفوا عليها ولم يقبلوا فيه نصيحة ناصح، ولا رسالة مرسل. قوله: ﴿**فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ**﴾، أي: فلا تفعل ذلك، فإنهم أوقعوا أنفسهم في تلك الحالة بتزيين الشيطان لهم ورؤيتهم ذلك حسناً، وهو من فعل أنفسهم فلماذا تتحسر عليهم، وإسناد الإضلال والهداية إلى الله بواسطة أنه خالق أسباب الضلال والاهتداء، وذلك من تصرفه تعالى بالخلق، وهو سر من الحكمة عظيم لا يُدرك غوره وله أصول وضوابط"[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٣).

(٢) النمل: ٢٤.

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٦٣-٢٦٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن عثيمين رحمه الله كلاماً فيه عموم وشمول للآية الكريمة: "﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾، من المزين؟ ذكر الله عز وجل أن المزين الشيطان. وسوء العمل؛ يشمل كل الأعمال، سواء كان الشرك أو العدوان على الغير أو سوء السلوك وفساد الأخلاق أو غير ذلك، المهم أنه شامل لكل الأعمال. ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ أي: رَأَى سُوءَ عَمَلِه حَسَنًا، وهذا أشَدّ ما يكون أن يكونَ الإنسان على خَطَأ ويرى أنَّه على صَوَاب، لأَنَّ مثل هذا لا يَكَادُ يُقْلِعُ عن غَيِّه حَيْثُ أَنَّه يَعْتَبِرُه صَوَابًا، ومن ذلك مثلاً: أصحاب الحيل المخادعون، فالمنافق مثلاً زين له سوء عمله؛ لأنه يرى أنه ذكي، وهذا مِن سُوءِ العمل، ومن أمثلة ذلك: المُتَحَايلون على الرِّبَا بأنواعِ الحِيَل هؤلاء أيْضًا زُيِّنَ لهم سُوءُ أعمالِهِم، ولهذا لا تكَاد تَجِدُهم يُقلِعُون على ما هم عليه لأنَّه قد زُيِّنَ ذلك في نفوسِهم فلا يُقْلِعُون عنه، المهم أنَّ هذا له أَمْثِلَة كَثِيرَة وهذا مِن سُوءِ العمل"(١).

---

(١) تفسير العثيمين (فاطر، ص: ٦٣).

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: تؤكد الآية الكريمة على خطورة اعتقاد الإنسان الذي عمل سيئا ويراه حسناً؛ لما لذلك من تبعات سلبية على الفرد والمجتمع ـ كما هو حال أي عمل سيء ـ. فربما يتسع مداه ودائرة قبوله لدى الآخرين فيصبح أمراً طبعياً، وتُبنى عليه تصورات وقرارات مصيرية قد لا تُرى نتائجها العكسية في الوقت الحاضر. فالواجب العناية التامة بأعمالنا وأقوالنا وبخاصة المصيرية منها، والعناية بمراجعتها من أهل الاختصاص للتأكد من سلامتها وموافقتها لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وواقع الحال ومتطلبات العصر.

ثانياً: توجد علاقة قوية ورابط وثيق بين رؤية الإنسان لعمله السيء حسناً، وبين تزيين الشيطان له؛ لأن الشيطانَ حريص أشد الحرص على إغواء بني آدم بشتى الوسائل الممكنة، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ**﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ**

---

(١) الأنفال: ٤٨.

﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾(١). قال الطبري رحمه الله: "وحسَّن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحبَّب ذلك إليهم ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ومعناه: فصدّهم عن سبيل الحقّ ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾، فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحقّ ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يتردّدون"(٢).

ثالثاً: من الخيبة والخسران والحرمان وقلة التوفيق أن يسلك الإنسان في حياته مسلكاً يظن كل الظن أنه مستقيماً، وهو بخلاف ذلك، بل في وجهة قد تهوي به إلى الشقاء والضياع والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾(٣). قال الطبري رحمه الله: "هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هُدى

---

(١) النمل: ٢٤.

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٤٧). انظر: مقالاً موسعاً للكاتب على موقع الألوكة: ملامح تربوية مستنبطة من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ النساء: ٧٦.

(٣) الكهف: ١٠٣-١٠٤.

واستقامة، بل كان على جَور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به، ﴿**وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا**﴾، وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون"(١). وقال ابن كثير رحمه الله: "﴿**ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا**﴾ أي: عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة، ﴿**وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا**﴾، أي: يعتقدون أنهم على شيء، وأنهم مقبولون محبوبون"(٢).

رابعاً: أشدُّ الناس وقوعاً في رؤية أعمالهم السيئة حسنة أكثرهم بعداً عن الله تعالى، ومن أعظم الانحراف وأشده الوقوع في الكفر والعياذ بالله، ثم ارتكاب المعاصي والذنوب كبيرها وصغيرها، وغير ذلك من الانحرافات، وكلما كان الإنسان من الله أبعد كانت رؤيته لعمله السيء حسناً، قال تعالى: ﴿**بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ**﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا**

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٨١).

(٣) الرعد:٣٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(١). قال السعدي رحمه الله: "فلم يزل الشيطان يحسن لهم أعمالهم، ويزينها في قلوبهم، حتى استحسنوها ورأوها حقاً، وصار ذلك عقيدة في قلوبهم، وصفة راسخة ملازمة لهم، فلذلك رضوا بما هم عليه من الشر والقبائح"(٢).

خامساً: عندما لا يشعر الإنسان بخطئه، أو تقصيره، ولا يرى فيه بأساً، بل قد يراه حسناً، فذلك انحراف في التصور والسلوك، وقد يكون بسبب تسلط الشيطان عليه، أو تسلط نفسه الأمارة بالسوء، فيزهو حينها بنفسه كِبْراً وغُروراً، وقد يظن في نفسه أنه هو الفاهم الذكي ويحتقر غيره في سوء فهمهم وقلة علمهم، ولم يعلم المسكين أن الله تعالى هو الذي علّمه ورزقه الفهم والدراية، وفي أية لحظة فإن الله تعالى قادر على أن يسلبه ذلك، ولذلك جاءت الشريعة السمحة بتوجيهات عدة بتحريم الكبر واحتقار الآخرين، قال تعالى: **﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي**

---

(١) الأنعام:١٢٢.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٧٢).

ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[١]. قال ابن باز رحمه الله: "ينبغي للمؤمن أن يحذرَ أن يعجب بعمله، أو نفسه، أو أن يتكبر على إخوانه، يجب الحذر من ذلك، فإن الإنسان محلُّ الخطر، فينبغي له أن يُحاسب نفسه، وأن يُجاهدها حتى لا يقع في قلبه التَّكبر على إخوانه والعجب بنفسه فيهلك".

سادساً: يحتاجُ المؤمن بصفة دائمة إلى محاسبة نفسه ومراجعتها، للتأكد من مدى سلامة سيره على الصراط المستقيم، وبخاصة في الأمور المهمة التي تحتاج تأنٍّ وحكمة، وتأتي في مقدمتها شرائع الدين وأحكامه، ومن توجيهات الشريعة السمحة في محاسبة النفس، قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ**﴾[٢]. قال السعدي رحمه الله: "هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه

---

(١) لقمان:١٨.

(٢) الحشر:١٨.

في تكميله وتتميمه، وإتقانه"[١]. وقال صلى الله عليه وسلم: "الكَيّسُ مَن دان نفسَه وعمِل لما بعدَ الموتِ، والعاجِزُ مَن أتبَع نفسَه هَواها وتمنَّى على اللهِ الأمانِيَّ"[٢]. قال ابن عثيمين رحمه الله: "من دان نفسه"؛ يعني: من حاسبها ونظر ماذا فعل من المأمورات، وماذا ترك من المنهيات هل قام بما أُمر به؟ هل ترك ما نُهي عنه؟ إذا رأى من نفسه تفريطاً في الواجب استدركه إذا أمكن استدراكه، وقام به أو ببدله، وإذا رأى من نفسه انتهاكاً لمحرم أقلع عنه وندم وتاب واستغفر"[٣].

سابعاً: يقع على عاتق الأسرة دور مهم في صياغة الفكر السليم والسلوكيات الإيجابية وتربية النشء عليها ليكونوا معاول بناء في المجتمع، وكلما كانت تربية النشء في داخل الأسرة تربية إسلامية أصيلة متكاملة كان المجتمع أكثر استقراراً ونضوجاً ورقياً، وتختفي معه الكثير من الظواهر السلبية، وإن ظهر بعضها في وقت معين يسهل علاجها والقضاء عليها. ومن أبرز

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٥٣).
(٢) الترمذي، حديث رقم: (٢٤٥٩)، ابن ماجه، حديث رقم: (٤٢٦٠)
(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (ص: ٥٠٨).

من ينبغي أن يركز عليه الوالدان لتجنب أولادهما الوقوع في تزيين سوء أعمالهم ورؤيتها حسنة، ما يلي:

- غرسُ القيم والمبادئ الإسلامية والأخلاق الفاضلة في نفوس النشء، وعرضها بأساليب تربوية مشوقة، وأن يكون الوالدان قدوة حسنة لأولادهم في شؤونهم كلها، فهذا أدعى لترسيخها والالتزام بها.
- التعريفُ بالحق والباطل، والتمييز بينهما، والتحذير من شياطين الجن والإنس، وما يقوموا به من ترويج للشبهات والشهوات، وتحريف وتأويل فاسد لبعض النصوص الشرعية؛ لكي يزينوا السوء ويقبحوا الحسن.
- تحصينُ النشء بتقوية الإيمان بالله تعالى لديهم والتوكل عليه؛ ليكونوا سداً منيعاً أمام ترويج المعاصي والمنكرات من قبل أهل الشر والفساد.
- الحرصُ التام على الأعمال الصالحة، وفي مقدمتها المحافظة على الصلوات، وتلاوة القرآن الكريم، والأذكار الشرعية، والتوبة والاستغفار من الذنوب والخطايا، والتذكير دائماً بالآخرة والحساب والجزاء، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثامناً: من أقوى ما يُعين الإنسان على السلامة والابتعاد عن الزيغ والضلال والانحراف في الفكر والسلوك، ورؤية الأعمال السيئة حسنة؛ الإكثار من الدعاء، ومن الأدعية الشرعية المفيدة في هذا الجانب، الآتي:

الحديث الأول: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قالَ لي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:"قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بالهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ"(١). قال النووي رحمه الله: "معنى (سددني) : وفقني واجعلني منتصباً في جميع أموري مستقيماً، وأصل السداد الاستقامة والقصد في الأمور، وأما الهدى هنا فهو الرشاد، ومعنى (وَاذْكُرْ بالهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ)، أي: تذكر في حال دعائك بهذين اللفظين، لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه، ومسدد السهم يحرص على تقويمه، ولا يستقيم رميه حتى يقومه، وكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد علمه وتقويمه، ولزومه السنة"(٢).

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٧٢٥).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٧/ ٤٣-٤٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحديث الثاني: قال صلى الله عليه وسلم: "اللَّهمَّ ألْهِمني رُشدي وقِني شرِّ نَفسي"[١]. قال ابن عثيمين رحمه الله في معرض حديثه عن فضل الدعاء، وما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر به: "اللَّهمَّ ألْهِمني رُشدي وقِني شرِّ نَفسي"، "ألهمني رشدي" يعني: اجعلني موفقًا للرشد والرشد ضد الغي، والغي هو المعاصي والشر والفساد، والإنسان إذا وفق للرشد فإنه موفق، وهذا هو غاية المؤمنين الذين قال الله عنهم: ﴿**وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ**﴾[٢] "[٣].

الحديث الثالث: دعاء: "اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فَنَضِلّ"[٤]. قال ابن عثيمين رحمه الله في فتوى لسائل في الحرم المكي الشريف؛ عام ١٤١٨ هـ، ختمها رحمه الله بقوله: "واسألوا الله دائماً قولوا: "اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا

---

(١) أحمد، المسند، (١٩٧/٣٣)، الترمذي، حديث رقم: (١٩٩٩٢).

(٢) الحجرات:٧.

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (ص: ٩٦٦).

(٤) دعاء مأثور، ابن شاهين، مذاهب أهل السنة، (ص: ٣٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل. ادع الله دائماً بهذا، وادع الله دائماً أن يثبتكم على الحق أحياءً وأمواتاً فإن الله يقول: ﴿**يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ**﴾(١) ".

تاسعاً: من الأمور المهمة التي ينبغي الإشارة إليها ويجب أن تكون حاضرة في عقل ووجدان كل مسلم لتجنب المصادمات والصراعات بين الناس وما ينتج عنها من فُرقة وتشتت في منظومة العلاقات الاجتماعية؛ القناعة التامة بوجود اختلافات في وجهات النظر بين الناس حول موضوعات وقضايا معينة، فلا نسقط الآية موضوع المقال على كل عمل يخالف رأينا، فالاختلاف سنة اجتماعية معتبرة، قال تعالى: ﴿**وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ**﴾(٢). قال ابن كثير رحمه الله: "أي: ولا يزال الخُلف بين الناس في أديانهم، واعتقادات مللهم، ونحلهم، ومذاهبهم، وآرائهم"(٣). وهنا ينبغي أن تكون هناك مِساحة

---

(١) إبراهيم:٢٦.

(٢) هود:١١٨.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من اتساع الفكر وقبول واحترام وجهات النظر المخالفة، طالما في إطار الأصول والقواعد الشرعية، ولها مسوغ شرعي معتبر، حفاظاً على سلامة المجتمع من التشتت والخصام، ولكي لا تكون هناك فرصة مواتية لشياطين الإنس والجن لبذر بذور التناحر والقطيعة بين أبناء المجتمع الواحد.

عاشراً: الخطأ والتقصير وسوء الفهم من لوازم الطبيعة البشرية، وهي بحاجة دائمة إلى التذكير والتناصح بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن تيقن حق اليقين رؤية تقصير معين عند أخيه المسلم فالواجب نصحه وتذكيره، قال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ"(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: "المؤمِنُ مرآةُ أخيهِ، المؤمنُ أخو المؤمنِ يَكُفُّ عليهِ ضَيْعَتَه ويحوطُه مِن ورائِه"(٣). قال ابن باز رحمه الله: "أنت مرآة لأخيك وهو مرآة لك، إذا رأيتَ شيئاً يشينه نبهته برفق وحكمة وإظهار المودة والنصح حتى يزيل ذلك الشيء الذي يشينه وينقصه،

---

(١) الذاريات:٥٥.

(٢) صحيح مسلم، رقم: (٥٥).

(٣) الألباني، صحيح الأدب المفرد، رقم: (١٧٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهو كذلك إذا رأى فيك ما يشينك نبهك بلطف ورفق ومحبة وعدم عنف حتى تزيل ما يشينك وما يقدح فيك من أخلاق وأعمال".

الحادي عشر: هناك ملمح مهم؛ فعندما يُوجه للإنسان نصيحة لأي أمر كان، ينبغي احترام القائل وقبول النصيحة، فقد تكون النصيحة في محلها، والمبادرة بمراجعة النفس، فالآخرون لهم القدرة على رؤية وملاحظة ما في غيرهم بما لا يراه الشخص في نفسه، فلا تواجه بعنف أو اشمئزاز أو تعالٍ، ويكون شعار المنصوح مقولة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي"(١). والواجب أيضاً القبول الحسن والرد الحسن، ولعل الآية الكريمة: ﴿**ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ**﴾(٢) ، تؤكد هذا المعنى، فإذا كان الذي أخطأ في حقك الأولى تقابله بالتي هي أحسن، فكيف بمن أسدى إليك نصيحة!! فيكون القبول أعظم والرد أفضل، قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣/٦٤).

(٢) فصلت:٣٤.

"يعني إذا أساء إليك إنسان فلا تقابله بإساءة، ولا تقابله بحسنة أيضًا، قابله بما هو أحسن"[١].

الثاني عشر: ينبغي على الإنسان التأني والتثبت قبل الحكم على أعمال الآخرين، فلا يُصدر حكماً على شخص لمجرد رؤية صورة واحدة من شخصيته، فالحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، فالعاقل الموفق يتجنب سرعة الانتقاد لأعمال الآخرين، فيحفظ لسانه، ويترك الأمر لأهل العلم، كل بحسب اختصاصه للتصدي لمعالجة القضايا والظواهر السلبية بالطرق المناسبة من غير إفراط أو تفريط.

الثالث عشر: قد يغلب على ظن البعض أحياناً تبني قولاً لموضوع محدد، أو قضية معينة استناداً على فهم غير مكتمل، ثم يظهر خلاف ذلك، ورجوحه بدليل أقوى، فالتراجع إلى القول الأقوى دليلاً خير من التمادي في الخطأ، وهذ من التوفيق والحكمة وكمال العقل، فالعلم بحر لا ساحل له،

---

(١) تفسير العثيمين (فصلت، ص: ١٨٧).

قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١] ، قال الطبري رحمه الله: "وفوق كل عالم من هو أعلم منه، حتى ينتهي ذلك إلى الله"[٢].

(١) يوسف: ٧٦.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٩١).

(١٧)

الاستقامة طريق السلامة

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستقامة طريق السلامة

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾(١).

تمهيد:

إن الله تعالى خلق الإنسان وكَرَّمَه غاية التكريم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾(٢)، وجعله في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾(٣). وأعلى مقام التكريم للإنسان أن ينال شرف العبودية لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾(٤). ومن كمال منظومة التكريم للإنسان في الدنيا والآخرة، إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإنزال

---

(١) فاطر: ١٠.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) التين: ٤.

(٤) الذاريات: ٥٦.

الكُتب معهم ، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[١]. ومن فضل الله وكرمه أن جعلَ أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس، ونبيها خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين عليه الصلاة والسلام، وكتابها؛ القرآن الكريم أعظم الكتب السماوية محفوظ بحفظ الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٢].

فمن أراد الحياة الكريمة والعزّة في الدنيا والآخرة، فليستمسك بدين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، قال عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣]. وصدق الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنَّا قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فلن نبتغي العزة بغيره"[٤].

(١) البقرة:٢١٣.

(٢) الحجر:٩.

(٣) الأنعام:٨٥.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، (١٨/ ٣٢٠)، الحاكم، المستدرك، (١/ ٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهناك ارتباط وثيق بين العزة في الدنيا والآخرة، وبين طاعة الله تعالى والالتزام بشرعه أمراً ونهياً. قال ابن القيم رحمه الله: "فإن العِزَّ كل العَزِّ في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾[١]، أي: فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله، وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعِزَّني بطاعتك، ولا تُذِلَّني بمعصيتك"[٢].

وأختم هذا التمهيد بذكر آيتين تتشابه مع الآية موضوع المقال تؤكدان معنى أن العزة لله جميعاً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٤].

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

---

(١) فاطر: ١٠.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص٥٩).

(٣) النساء: ١٣٩.

(٤) يونس: ٦٥.

قال السعدي رحمه الله: "أي: يا من يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ من قراءةٍ وتسبيح وتحميد وتهليل وكلِّ كلام حسن طيب، فَيُرفع إلى الله ويُعرض عليه ويُثني الله على صاحبه بين الملأ الأعلى ﴿**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ**﴾ من أعمال القلوب وأعمال الجوارح ﴿**يَرْفَعُهُ**﴾ الله تعالى إليه أيضاً، كالكلم الطيب، وقيل: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله تعالى، فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه. وأما السيئات فإنها بالعكس، يريد صاحبها الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة ونزولاً، ولهذا قال: ﴿**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾، يهانون فيه غاية الإهانة، ﴿**وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾ أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئاً، لأنه مكرٌ بالباطل، لأجل الباطل"(١).

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٨٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولاً: كُل ما في السماوات والأرض وما بينهما تحت ملك الله تعالى، وتصرفه، ومشيئته سبحانه، ولا يعجزه شيء بتاتاً البتة، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾(١) ، فالعزة الواردة في الآية موضوع المقال شيء من الأشياء، فهي له وبيده سبحانه؛ **"فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا"**، قال تعالى: ﴿**فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾(٢). قال السعدي رحمه الله: "فإن الله تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية"(٣).

ثانياً: طالما أن كلَّ الأشياء بيده سبحانه، وفي ملكه، وتحت قهره، وتصرفه، ومن ضمنها **"العزة"**، فالواجب أن يتوجه الإنسان بطلبها مباشرة منه جل جلاله وحده دون غيره. قال الشنقيطي رحمه الله: "من كان يريد

(١) يس:٨٢.

(٢) يس:٨٣.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٠٠).

العزة فإنها جميعها لله وحده، فليطلبها منه وليتسبب لنيلها بطاعته جل جلاله، فإن من أطاعه أعطاه العزة في الدنيا والآخرة"[١].

ثالثاً: إن الإيمان بالله تعالى محور أساس ومنطلق مهم في التعامل مع مطالب الحياة كلها خيرها وشرها، بل هو سفينة النجاة للسير بها في بحار الحياة ومحيطاتها، فكلما قوي إيمان العبد ويقينه بالله عاش مطمئناً مستريح البال، ولا يتأتى ذلك إلا لمن عَمَرَ قلبه بالإيمان، ومن ضمن مطالب الحياة المهمة؛ **"إرادة العزة"**، قال ابن عثيمين رحمه الله: "تكون العزة بما علَّق الله العِزَّة عليه، وهي الإيمانُ ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾[٢]، فمتى أراد الإنسان العزة فليكن مؤمناً"[٣].

رابعاً: لما كان المنطلق الأساس للعزة، وكل مطالب الحياة؛ هو: الإيمان بالله تعالى، والناس فيه بين مقل ومستكثر، فإنهم يتفاضلون في ذلك بحسب ما لديهم من إيمان ويقين، قال ابن عثيمين رحمه الله: "وكل ما كان

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٢٨٠).

(٢) المنافِقون: ٨.

(٣) تفسير العثيمين (فاطر، ص: ٨١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنسان أكثر إيماناً بالله، وأقوى إيماناً بالله كان أكثر عزة وأقوى عزة"(١).

وقال القاسمي رحمه الله: "وفي دعاء القنوت: "إنَّهُ لا يذلُّ من واليتَ، ولا يعزُّ من عاديتَ، تباركتَ ربَّنا وتعاليتَ"(٢)، ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من الذل بحسب معصيته"(٣).

خامساً: يقع بعضُ الناس في خطأ جسيم بسبب غفلتهم، أو جهلهم عند اللجوء للكفرة، ومن هم في فلكهم من: المشعوذين والدجالين، وهناك من لا يقل عنهم غفلةً وجهلاً ممن يسعى للتبرك بالأولياء أحياءً وأمواتاً والاعتقاد فيهم بطلب نفع، أو دفع ضر، ومن ذلك طلب العزة منهم، قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**﴾(٤). قال ابن كثير رحمه الله: "أخبر تعالى بأن العزة كلها لله وحده لا شريك له، ولمن

(١) تفسير العثيمين (فاطر، ص: ٨١).

(٢) الألباني، صحيح أبي داود، (١٤٢٥).

(٣) تفسير القاسمي (٧/ ٣٧٣).

(٤) النساء: ١٣٩.

جعلها له، كما قال في الآية الأخرى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٢) ، والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جانب الله تعالى والإقبال على عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النصرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"(٣).

سادساً: حكى القرآن الكريم عن إبليس قوله: ﴿**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾(٤). قال السعدي رحمه الله: "إن إبليس أقسم بعزة الله ليغوينهم كلهم أجمعين"(٥). وإبليس الذي استحق اللعن من الله تعالى ﴿**لَّعَنَهُ ٱللَّهُ**﴾(٦)، أدرك أن الله تعالى مالك العزة والقوة والسلطان جل جلاله، بينما بعض الناس في غفلةٍ وجهلٍ مطبقٍ كما تمت الإشارة إليه في

---

(١) فاطر: ١٠.

(٢) المنافقون:٨.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٥).

(٤) ص:٨٢.

(٥) تفسير السعدي (ص: ٧١٧).

(٦) النساء:١١٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفقرة السابقة (**خامساً**) حيث يطلبون العزة من غير الله تعالى، ولكن الموفق من وفقه الله، والهادي من هداه الله، نسأل الله التوفيق والهداية.

سابعاً: إن العنايةَ بأسماء الله الحسنى علماً وفهماً وتطبيقاً تفتح للعبد مجالات أوسع من العبودية لله تعالى، وقد يصل بها إلى أعلى مقامات العبودية، فمن عَلِمَ وَفَهِمَ أن من أسماء الله تعالى الحسنى **"العزيز"**؛ "أي: الذي له العزة كلها؛ عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته"(١). من عَلِم ذلك امتلأ قلبه إيماناً ويقيناً بقدرة الله تعالى، فلا يتوجه بعد ذلك عند إرادة العزة إلا لمن يمتلكها وهو الله وحده جل جلاله، فهو يُعِزُ من يشاء ويُذِلُ من يشاء، قال تعالى: ﴿**وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ**﴾(٢). قال السعدي رحمه الله: " ﴿**وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ**﴾ بطاعتك ﴿**وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ**﴾ بمعصيتك

(١) انظر: السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، (ص: ٢١٤).

(٢) آل عمران:٢٦.

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ لا يمتنع عليك أمر من الأمور بل الأشياء كلها طوع مشيئتك وقدرتك"(١).

ثامناً: السبيل الموصل لرضى الله تعالى والنيل من فضله وإحسانه، ومنها إعزازه في الدنيا والآخرة؛ العناية التامة بالعمل الصالح من أقوال وأعمال خاصة ومتعدية، ولا شك أن في مقدمتها الفرائض المكتوبة، جاء في الحديث القدسي: "ما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ"(٢).
قال ابن القيم رحمه الله: "أخبر سبحانه أنّ أداء فرائضه أحبّ ما تقرّب به إليه المتقرّبون، ثم بعدها النوافل؛ وأنّ المحبّ لا يزال يُكثر من النوافل حتى

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٢٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٥٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يصير محبوبًا لله، ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربّه في محابّه حصلت موافقة الربّ لعبده في حوائجه ومطالبه"(١).

تاسعاً: لما كان أحبُّ الأعمال الصالحة إلى الله تعالى أداءَ الفرائض، كما ورد في الحديث القدسي: "ما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه"(٢). فالواجب على المسلم العناية بها عناية تامة، وبخاصة أداء الصلوات في وقتها المحدد، ولا ينشغل، أو يتشاغل عنها إلا بعذر شرعي، أما الإكثار من نوافل العبادات التي وردت الإشارة إليها في الحديث القدسي السابق، وتُكسب العبد محبة الله تعالى، فهي من الأعمال الصالحة، وتشمل: السنن المؤكدة، والمندوبات، والتطوعات في مجالات العبادة، سواء البدنية؛ كالصلاة، وقراءة القرآن الكريم، والصيام، والحج والعمرة، والعبادات المالية؛ كالصدقات، والتبرعات المالية، والواجب أن يتفقه المسلم في معرفتها ليعبد الله على علم، ومهم الإشارة هنا إلى دعاء الله تعالى بإعانته على ذكره وشكره وحسن عبادته، كما جاء في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه، "أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص: ٤٣٠ - ٤٣٨).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٥٠٢).

أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ"[١]. ومن الوصايا المهمة في هذا الباب المداومة وعدم الانقطاع عن أداء هذه النوافل استناداً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "وأنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قَلَّ"[٢].

عاشراً: من أعظم العوائق لنيل مطالب العبد وحوائجه، ومنها العزة في الدنيا والآخرة، الشرك بالله تعالى، فهو أكبر الكبائر، ثم ارتكاب الفواحش ما ظهر وما بطن، فكلما كان الإنسان بعيداً عن طاعة الله تعالى والالتزام بشرعه أمراً ونهياً كان من الشيطان أقرب، وسلك به مسالك الغواية والضلال، حتى يورده المهالك والعياذ بالله تعالى، قال سبحانه: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ**﴾[٣]. قال ابن باز رحمه الله: "من غفل عن ذكر الله، وعن قراءة القرآن، وعن طاعة الله من الصلوات، وغيرها؛ قيض الله له الشياطين حتى تصده عن الحق، وحتى تلهيه في الباطل -نعوذ بالله- ومن قام بأمر الله، وأدى حق الله، واستعمل

(١) الألباني، صحيح أبي داود، حديث رقم: (١٥٢).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٤٦٤)، صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨١٨).

(٣) الزخرف:٣٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نفسه في ذكر الله، وطاعة الله؛ عافاه الله من الشيطان، وحفظه من الشياطين، نسأل الله السلامة".

الحادي عشر: من جمال الإسلام أن يكون المسلمُ واضحاً في أقواله وأعماله، متخلقاً بأجمل الأخلاق متجنباً للرياء، صادقاً، أميناً، صافي القلب، لا يمكر بأحد، ولا يخادع أحداً؛ قدوته الحسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، الذي زكاه الله في أخلاقه، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[١]. وكلما كان المسلم مقتدياً بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم عاش المسلمون مع بعضهم متوادين، متراحمين، متعاطفين كمثل الجسد، كما جاء في الحديث الشريف: "مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ؛ مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى"[٢].

(١) القلم: ٤.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٠١١)، صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٥٨٦).

(١٨)

لا يحيق المكر السيء إلا بأهله

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ

فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يحيق المكر السيء إلا بأهله

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾(١).

تمهيد:

جاء الإسلامُ بالأخلاق الفاضلة، والقيم السامية لتسود المحبة، والوئام بين الناس في كل مكان وزمان، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٢). فكل توجيهات القرآن الكريم والسنة المطهرة جاءت رحمةً وهدايةً للبشرية، وصلاح أحوالها في جوانب الحياة كلها؛ الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتربوية، وغير ذلك، وللجانب الأخلاقي فيها مكانة عظيمة، نال كمالها وشرفها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ الرحمة المهداة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٣). قال ابن عثيمين رحمه الله: "النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن من مقاصد بعثته إتمام

(١) فاطر: ٤٣.

(٢) الأنبياء:١٠٧.

(٣) القلم:٤.

محاسن الأخلاق، فقال عليه الصلاة والسلام: "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"[١]. فالشرائع السابقة التي شرعها الله للعباد كلها تحث على الأخلاق الفاضلة، ولهذا ذكر أهل العلم أن الأخلاقَ الفاضلة مما طَبَقت الشرائع على طلبه، ولكن الشريعة الكاملة جاء النبي عليه الصلاة والسلام فيها بتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال"[٢]. ولا شك أن المكر السيء من مساوئ الأخلاق، وفِعْلٍ قبيحٍ، تأباه العقول الصحيحة، والفطر السليمة، ويرفضه الإسلام وغيره من رذائل الأخلاق جملة وتفصيلاً.

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال ابن عاشور رحمه الله: المكر: "إخفاء الأذى، وهو سيء لأنه من الغدر، وهو مناف للخلق الكريم، فوصفه بالسيئ وصف كاشف، وجملة: ﴿**وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ**﴾ موعظة، ويحيق: ينزل به شيء مكروه، حاق به، أي: نزل وأحاط إحاطة سوء، أي: لا يقع أثره إلا على أهله، والله أعد للماكر في قدره من ملاقاة جزائه على مكره، فيكون ذلك من

(١) البخاري، الأدب المفرد، رقم: (٢٧٣)، الألباني، السلسلة الصحيحة، رقم:(٤٥).

(٢) ابن عثيمين، مكارم الأخلاق، (ص: ١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النواميس التي قدرها الله لنظام هذا العالم؛ لأن أمثالَ هذه المعاملات الضارة تؤول إلى ارتفاع "زوال" ثقة الناس بعضهم ببعض، والله بنى نظام هذا العالم على تعاون الناس بعضهم مع بعض؛ لأن الإنسان مدني بالطبع، فإذا لم يأمن أفراد الإنسان بعضهم بعضاً تنكر بعضهم لبعض، وتبادروا الإضرار، والإهلاك ليفوز كل واحد بكيد الآخر قبل أن يقع فيه، فيفضي ذلك إلى فساد كبير في العالم، والله لا يحب الفساد، ولا ضرّ عبيده إلا حيث تأذن شرائعه بشيء، ولهذا قيل في المثل: **"وما ظالم إلا سيبلى بظالم"**، وقال الشاعر:

لكل شيء آفة من جنسه ... حتى الحديد سطا عليه المبرد"[١]

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: نهى الإسلام عن المكر، وأعده من رذائل الأخلاق، وقبائح الأعمال؛ قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠**﴾[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "والصحيح أنها عامة، والمشركون

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٣٤).

(٢) فاطر: ١٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، أي: يَفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهى، فإنه ما أسَرَّ عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسَرَّ أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر"(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: **"المكرُ والخِداعُ في النَّارِ"**(٢). قال المناوي: "أي: صاحِبُهما يستَحِق دخولَها؛ لأن الدَّاعيَ إليه الحِرصُ على الدنيا والرَّغبة فيها، وذلك يَجُرُ إليها"(٣).

ثانياً: إن استقامةَ المؤمن وصلاحه، وحسن تعامله مع الناس بعامة، وإخوانه المسلمين بخاصة، يستند على توجيهات شرعية من الكتاب والسنة، والموفق من فقهها وعمل بها فنال سعادة الدنيا والآخرة، فمن القرآن الكريم؛ قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾(٤). ومن السنة؛ قوله صلى الله عليه

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٦).
(٢) الألباني، صحيح الجامع، رقم: (٦٤٠٨).
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، (٢/٤٣٢).
(٤) الإسراء:٥٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلم: "**مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المؤمِنِ يَومَ القِيامة مِنْ حُسْنِ الخُلُق، وإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيّ**"(١)، وقوله عليه الصلاة والسلام: "**أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُم خُلُقًا، وخِيارُكُم خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**"(٢)، وقالَ صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِه درجة الصَّائمِ القَائمِ**"(٣).

ثالثاً: إن المكرَ السيء ليس من أخلاق المؤمنين الأخيار، فالمؤمن التقي النقي يحرص على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم أكمل الناس خُلقاً، فلا ينسجم بحال الإيمان والتقوى مع المكر والخداع وذميم الأخلاق، وكلما كان الإنسان متأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم، كان أبعد عن المكر والخداع وسيء الأخلاق، فالواجب حينئذ الحرص على التفقه في الدين، والتزود بالعلم الشرعي من أهل العلم الثقات ليكون على علم ودراية بالتوجيهات الشرعية التي تؤكد على حسن التعامل، وغرس القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية الفاضلة في نفوس المسلمين، واجتناب كل ما يُلحق الضرر بالآخرين من قول سيء، أو فعل قبيح، فمن فَقِه وتعلم ليس كمن لم

(١) الألباني، صحيح الترمذي، رقم: (٢٠٠٢).
(٢) الألباني، صحيح الترمذي، رقم: (١١٦٢).
(٣) الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، رقم: (٢٦٤٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَفْقَه ولم يتعلم، وصدق الله العظيم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

رابعاً: سُنن الله تعالى في الخلق لا تتبدل، ولا تتغير: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[٢].
قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا أن أُحِلَّ بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم"[٣]. وهذا تنبيه مهم في الآية الكريمة؛ أن سننَ الله تعالى الجارية في الخلق لمن بغى وتجاوز الحدود الشرعية لن تتبدل ولن تتحول، فالسعيد من اتعظ بغيره قبل فوات الأوان، قال عبد الرزاق البدر حفظه الله: "ومن لم يعتبر بحال غيره من المفرطين الذين سبقوه كان لمن بعده عبرة"[٤].

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٨٤).

(٤) الموقع الرسمي للشيخ عبدالرزاق البدر تحت عنوان السعيد من اتعظ بغيره.

خامساً: ﴿**وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾، تُقَرر الآية الكريمة قاعدة عامة في التعامل مع الآخرين؛ قال السعدي رحمه الله: "الذي مقصوده مقصود سيئ، ومآله وما يرمي إليه سيئ باطل ﴿**إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾ فمكرهم إنما يعود عليهم"[(١)]. ونظير هذه القاعدة آيات أخر: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم**﴾[(٢)]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحداً غيركم"[(٣)]. ومثلها قوله تعالى: ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ**﴾[(٤)]. قال القرطبي رحمه الله: " فإنما ينكث على نفسه؛ أي: يرجع ضرر النكث عليه؛ لأنه حرم نفسه الثواب وألزمها العقاب"[(٥)].

سادساً: حرص الإسلام على الألفة والمودة بين الناس عامة، وبين المسلمين خاصة، فجاء الإسلام بتهذيب النفوس وتزكيتها، قال تعالى:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٩١).
(٢) يونس:٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٧).
(٤) الفتح:١٠.
(٥) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٨).

﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ**﴾(١). وقال صلى الله عليه وسلم: "**لا تحاسَدُوا، ولا تناجَشُوا، ولا تباغَضُوا ولا تدابَرُوا، ولا يبِعْ بعضُكمْ على بيعِ بعضٍ، وكُونُوا عبادَ اللهِ إخواناً، المسلِمُ أخُو المسلِمِ، لا يَظلِمُهُ ولا يَخذلُهُ، ولا يَحقِرُهُ**"(٢). فالناس خُلقوا لغاية سامية، هي: عبادة الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ**﴾(٣)، وعمارة الأرض؛ قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا**﴾(٤). قال القاسمي رحمه الله: "جعلكم عمارها، أي: جعلكم قادرين على عمارتها، كقوله تعالى: ﴿**وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا**﴾(٥)"(٦). فالواجب التفرغ لهذه الغاية الجلية، وتأديتها على الوجه الأكمل، ولا يتأتى ذلك إلا بالتعاون بين الناس، ودوام الألفة والمحبة بينهم، فمتى ما حدث الظلم، وانتشرت رذائل الأخلاق انصرفوا

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٥٦٤).

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) هود: ٦١.

(٥) الأعراف: ٧٤.

(٦) تفسير القاسمي (٦/ ١١٢).

عن رسالتهم الحقيقية، وتولدت البغضاء بينهم، وتأججت الفتن والعدوات، فأصبح المجتمع يموج بالفوضى فلا أمن ولا أمان، نسأل الله السلامة والعافية.

سابعاً: هناك نوعان من المكر؛ سيء مذموم، ومكر غير سيء ممدوح، فالسيء يحيق بأهله، أما الممدوح فلا، قال ابن عثيمين رحمه الله: "وهل الماكر بغيره ينجو؟ الجواب: إذا كان مكراً سيئاً فإنه لا ينجو، بل سيحيق به مكره ويهلكه ويدمره؛ كما قال تعالى: ﴿**وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ**﴾(١). أما إذا كان المكر بحق فإنه لا يحيق بأهله، بل يحيق بعدوه؛ ذلك لأن المكرَ بحق ممدوح وليس بمذموم"(٢).

---

(١) الأحقاف: ٢٦.

(٢) تفسير العثيمين (فاطر، ص: ٣٠١).

(١٩)

تعظيم اللّه وتقديره

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعظيم اللّه وتقديره

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[١].

تمهيد:

إن الحديثَ عن تعظيم الله تعالى حق تعظيمه، وتقديره حق قدره بحرٌ لا ساحل له، وخطى في طريق لا منتهى لمداه، ولا يساورني أدنى شك البتة أني لن أوفي الموضوع حقه من عرض وبيان الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال، وشرف لي وفخر لا يدانيه فخر أن قدحَ في ذهني البدء في كتابة هذا المقال، ووجدت معونة منه سبحانه وعزماً وتوفيقاً في الكتابة فيه، فاللهم لك الحمد كما تحب وترضى، وأسأله بمنه وكرمه وإحسانه أن يسددني ويجعله خالصاً لوجهه وابتغاء مرضاته.

---

(١) الزمر: ٦٧

هناك آيتان أخريان تتشابهان مع موضوع آية المقال: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِ**﴾، وهما:

الأولى: قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ**﴾[١].

قال ابن باز رحمه الله: والآية عامّة، تَعمّ قريشًا وغيرهم، كل مَن قال هذه المقالة ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ**﴾ تَعمّ جميع الكفرة الذين قالوا هذه المقالة من قريشٍ وغيرهم، ما عظَّموا الله حقَّ تعظيمه، وما قدروه حقَّ قدره إذ اتّهموه بأنَّه أهمل الناس، وترك الناسَ على ضلالهم وعماهم من غير رسلٍ ولا كتبٍ، بل هذا من ظن السّوء؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ**﴾.

---

(١) الأنعام: ٩١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثانية: قال سبحانه: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[١].

قال البغوي رحمه الله: "﴿**مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ**﴾ ما عظموه حق عظمته، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته إن أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾"[٢].

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "قوله: **"وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ"**؛ قال: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حقّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك، فلم يقدر الله حقّ قدره"[٣].

---

(١) الحج:٧٣-٧٤.

(٢) تفسر البغوي (٥/ ٤٠٠).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٥٢٤).

وقال ابن كثير رحمه الله: "وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكلُّ شيء تحت قهره وقدرته"(١).

وقال ابن باز رحمه الله: هذه الآية العظيمة تبين عِظَم قدرته، وأنه الخلاق العليم، وأنه يطوي السماوات ويقبض الأرض، فدل ذلك على عِظَم قدرته، ومن كان بهذه المثابة فهو حري بأن يُعْبَد ويطاع ويعظّم، وهو الذي له الكمال في أسمائه وصفاته وأفعاله، لا شبيه له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، فالله جل وعلا له الصفات العليا والأسماء الحسنى، وهو سبحانه الخلاق الرزاق، وهو سبحانه أيضا المستحق للعبادة.

الملامح التربوية التي تُسهم بعون الله تعالى في تعظيم الله تعالى:

أولاً: الجهلُ بوحدانية الله عز وجل وقدرته وعظمته من أعظم الجهل، حتى لو كان أعلم أهل الأرض بعلوم الدنيا وفنونها، ولم يتعرف على الله تعالى، فلا ينفعه ذلك، فالإنسان بجهله لمعرفة الله يصبح تائهاً حائراً، وقد يجد الشيطان فرصةً سانحةً لإغوائه بالكلية، حتى يؤدي به للكفر والعياذ

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠١).

www.alukah.net

بالله، وهذا هو الهدف الأساس الذي يسعى إليه شياطين الجن والإنس، فالحذر ثم الحذر من الجهل بعظمة الله وقدرته، فهي طريق ممهد للضلال والإضلال، والبِدار ثم البِدار في العناية التامة بأخذ الوسائل المتاحة، وما أكثرها! لمعرفة عظمة الله تعالى وتقديره حقّ قدره من أهل العلم الثقات المعروفين بالصلاح والتقوى.

ولابن القيم رحمه الله كلاماً مهماً عن معرفة الله تعالى إذ قال: "فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب سبحانه في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمّ الله تعالى من لم يعظمه حقَّ عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته؛ قال تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾[(١)]. قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم: لا ترجون لله عظمة. وقال سعيد بن جبير رحمه الله: ما لكم لا تُعظمون الله حقَّ عظمته. وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت"[(٢)].

---

(١) نوح: ١٣.

(٢) مدارج السالكين، (٢/٤٥٩).

وهناك مثال واضح يردده الدعاة في محاضراتهم ودروسهم لأبيات شعرية منسوبة للشاعر: **"إليا أبو ماضي"** توضح مدى الضياع والحيرة التي عاشها، ولا شك أن مرد ذلك الجهل المطبق بمعرفة الله عز وجل، إذ قال:

جِئتُ لا أَعلَمُ مِن أَين وَلَكِنّي أَتَيتُ

وَلَقَد أَبصَرتُ قُدّامي طَريقاً فَمَشَيتُ

وَسَأَبقى ماشِياً إِن شِئتُ هَذا أَم أَبَيتُ

كَيفَ جِئتُ كَيفَ أَبصَرتُ طَريقي لَستُ أَدري[١]**.**

وهذه الأبيات تصور مدى ضياع الإنسان عندما يجهل عظمة الله تعالى، فإنه يعيش حالة من التيه والشقاء، فمن لم يهتدِ بنور الله فماله من نور، وصدق الله العظيم: ﴿**وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ**﴾[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر، كما قال تعالى: ﴿**مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ**﴾[٣]"[٤]. وجميل مقولة: **"من وجد الله فماذا فقد،**

---

(١) إليا أبو ماضي؛ شاعر لبناني من شعراء المهجر، ت:١٩٥٧م.

(٢) النور: ٤٠.

(٣) الأعراف:١٨٧.

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٦٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن فقد الله فماذا وجد". وكذلك مقولة: **"من عرف الله تفانى في عبادته، ومن لم يعرف الله تفنن في عصيانه"**.

ثانياً: التعرف على الله من أقوى مداخل معرفة الله تعالى؛ التعرف على أسمائه الحسنى وصفاته العليا. قال ابن القيم رحمه الله: "وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلَمَ، كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر، كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد"(١).

ثالثاً: توجد نصوص شرعية ثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بما ورد من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وقد تناولها العلماء بالشرح والبيان، قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾(٢) ، وقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ"(٣). قال ابن باز رحمه الله: هذا من

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، (١/ ٦-٧).

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٧٣٦)، صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٧٧).

أحاديث الوعد، من أحاديث الفضائل، وفيه حث على العناية بأسماء الله، وتدبرها حفظًا وإحصاء؛ حتى يستفيد من هذه المعاني العظيمة، وحتى يكون هذا من أسباب خشوعه لله، وطاعته له، والقيام بحقه سبحانه وتعالى، وهي من أسباب دخول الجنة لمن حفظها، وأدى حق الله، ولم يغْشَ الكبائر، أما من غشي الكبائر من المعاصي؛ فهو معرضٌ لوعيد الله، وتحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة.

رابعاً: إن من توفيق الله تعالى للعبد دلالته للخير مطلقاً، ومن أعظم التوفيق دلالته على التعرف عليه جل جلاله؛ لأن ذلك مدعاةٌ للقرب منه ومناجاته في كل وقت وحين، وليعلم المسلم أنه كلما ازداد عناية ومعرفة بالله تعالى زاد إيمانه وارتقى، وكلما زاد إيمانه وارتقى زاد تعظيمه لله، وكلما زاد تعظيمه لله زادت عبوديته، وهذا هو الشرف الأعظم والمقصد الأسنى من خلق الإنسان، أن يوحده حق توحيده ويخلص العبادة له وحده سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

خامساً: إذا تمكن تعظيم الله تعالى في قلب العبد امتلأ قلبه خشية منه ومهابة له، فهناك تلازم قوي بين تعظيم الله تعالى وبين خشيته سبحانه،

---

(١) الذاريات: ٥٦.

فمن عَظَّم الله حق عظمته كانت خشيته في السر كخشيته علانية، بل قد يكون في سره متذللاً منكسراً من شدة خشيته ولا يُظهر ذلك أمام الناس خشية الرياء، ولذلك ذم الله تعالى الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون منه سبحانه عند ارتكاب المحرمات، فهم أشد خشية للناس من الله تعالى المطلع على سرائرهم وعلانيتهم، قال تعالى: ﴿**يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا**﴾(١).

قال السعدي رحمه الله: "وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم، وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم"(٢).

سادساً: من فضل الله وكرمه وإحسانه بعباده أنهم إذا حققوا الخشية له سبحانه، فقد أعد لهم ما لا يُحصى من الخير والفضل العظيم. قال

---

(١) النساء:١٠٨.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٠٠).

تعالى: ﴿**وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾(١). قال ابن عثيمين رحمه الله: "وقوله: ﴿**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**﴾، ﴿**مَنْ**﴾ هذه بدل مما سبقها، ﴿**خَشِيَ الرَّحْمَنَ**﴾ أي: خَافَهُ عن علم وبصيرة؛ لأن الخشية لا تكون إلا بعلم، الدليل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(٢)، فهي خشية، أي: خوف ورهبة وتعظيم لله عز وجل؛ لأنها صادرة عن علم، والخشية لها معنيان؛ المعنى الأول: أنه خشي الرحمن مع أنه لم يَرَهُ، لكن رأى آياته الدالة عليه، والمعنى الثاني: خَشِيَهُ بالغيب، أي: بغَيْبَتِه عن الناس، يخشى الله وهو غائب عن الناس؛ لأن من الناس مَن يخشى الله إذا كان بين الناس، وأما إذا انفرد فإنه لا يخشى الله"(٣).

سابعاً: من مظاهر تعظيم الله تعالى؛ العناية التامة باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وكلما كان الإنسان مُعَظِّماً لله تعالى زاد تعظيماً لأوامره

---

(١) ق: ٣١-٣٥.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) لقاء الباب المفتوح (٥/١٣٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشعائره التعبدية، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[١]. قال ابن كثير رحمه الله: "﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾، أي : أوامره، ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾"[٢]. وقال السعدي رحمه الله: "تعظيمُ شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يُبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمَها، تابع لتعظيم الله وإجلاله"[٣].

ثامناً: من أعظم العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه عز وجل ويحرص الشيطان على صده عنها؛ الصلاة، فهي الركن العملي لأركان الإسلام، وهي صلة بين العبد وخالقه جل جلاله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٤]. وقد جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة ببيان الوسائل المناسبة لصد كيد الشيطان ووسوسته في سائر العبادات وفي الصلاة تحديداً، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

---

(١) الحج:٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٣٨).

(٤) المائدة:٩١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[١]. قال البغوي رحمه الله: "وأصل الخشوع السكون قال الله تعالى: ﴿**وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا**﴾[٢]"[٣]. فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى. وقال السعدي رحمه الله: "إن الخشوع، وخشيةَ الله ورجاء ما عنده يوجب له فعلها منشرحاً صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه"[٤].

وكلما زاد الإنسان تعظيماً لله تعالى زاد خشوعاً في صلاته وانصرف الشيطان عنه، وكانت له نوراً في حياته كلها، وعاش معها وبها راحة واطمئناناً، وصدق الله العظيم: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ**﴾[٥]. قال الشنقيطي رحمه الله: "ذكر تعالى في هذه الآية

---

(١) البقرة:٤٥.

(٢) طه:١٠٨.

(٣) تفسر البغوي (١/ ٩٠).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٥١).

(٥) الحجر: ٣٩-٤٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكريمة أن الشيطان لما توعد بأنه سيضل أكثر بني آدم، استثنى من ذلك عباد الله المخلصين، معترفاً بأنه لا قدرة له على إضلالهم"(١).

تاسعاً : توجد علاقة قوية للغاية بين القرآن الكريم وتعظيم الله تعالى حق عظمته وتقديره حق قدره، فالقرآن الكريم كلام الله تعالى، وأعظم كتبه، وفيه من الفضائل ما لا يحصى، بل هو مَعين لا ينضب من الغنائم والخيرات في كل مجال واتجاه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾(٢). قال الشنقيطي رحمه الله: "ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً برب العالمين جلَّ وعلا يهدي للتي هي أقوم، أي: الطريق التي هي أسد وأعدل وأصوب، وأقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله. وهذه الآية الكريمة أجمل الله جلَّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، لو تتبعنا تفصيلها

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٢٧٧).

(٢) الإسراء:٩.

على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم، لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة[١].

عاشراً: إن هدايةَ القرآن الكريم والانتفاع بما فيه من خير عظيم لا يحصل لكل أحد، فقد خص الله تعالى الانتفاع به لعباده المتقين وحدهم دون غيرهم، قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ**﴾[٢]. قال الطبري رحمه الله: "والقرآنُ هدًى للمتقين، وشفاءٌ لما في صدور المؤمنين، وَوَقْرٌ في آذان المكذبين، وعَمىً لأبصار الجاحدين، وحجةٌ لله بالغةٌ على الكافرين، فالمؤمن به مُهتدٍ، والكافر به محجوج"[٣]. وقال السعدي رحمه الله: "في نفسه هدى لجميع الخلق، فالأشقياء لم يرفعوا به رأساً، ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقائهم. وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر، لحصول الهداية، وهو التقوى التي

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٧).

(٢) البقرة:٢.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه، بامتثال أوامره، واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع"[١].

الحادي عشر: يُعد القرآن الكريم رافداً مهماً لبيان عظمة الله تعالى؛ لما يتضمن من وجوه الإعجاز المتنوعة، فقد اعتنى المختصون ببيان وجوه الإعجاز في القرآن، وأوضح مصطفى مسلم أن هناك أقوالاً متباينة في تحديد أوجه الإعجاز، ويمكن جمعها في أربعة وجوه:

- الإعجاز البياني.
- الإعجاز العلمي (التجريبي).
- الإعجاز التشريعي.
- الإعجاز الغيبي[٢].

ولذلك ينبغي للمسلم العناية بالتعرف على وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وما كتبه أهل العلم الثقات في هذا المجال؛ ليزداد معرفة بالله تعالى وتعظيماً له.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٠).

(٢) مباحث في إعجاز القرآن، (ص ١١٣).

الثاني عشر: أمر الله تعالى بتدبر القرآن الكريم، لحاجة الناس له في توجيه حياتهم لخيري الدنيا والآخرة، وصدق الله العظيم: ﴿**فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ**﴾(١). قال ابن باز رحمه الله: وهدى الله هو ما دل عليه كتابه العظيم القرآن وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- من فعل الأوامر، وترك النواهي، وتصديق الأخبار التي أخبر الله بها ورسوله، والإقامة عند حدود الله، وعدم تجاوزها، هذا هو الهدى، ومن توجيهات القرآن العظيم في الحث على تدبر القرآن، قوله تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾(٢). قال السعدي رحمه الله: "فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال"(٣).

الثالث عشر: من جوانب تدبر القرآن الكريم المهمة للغاية في تعظيم الله حق تعظيمه؛ الربط المبهر للعقول في خواتيم الآيات بأسماء الله

---

(١) طه:١٢٣.

(٢) ص: ٢٩.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحسنى، فمن تأمله وتدبره بعقله ووجدانه ملأ قلبه إيماناً ويقيناً وفهماً لمعاني الآيات، قال السعدي رحمه الله: "وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجلّ المعارف وأشرف العلوم، فتجد آية الرحمة مختومةً بصفات الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر. ومن الأمثلة؛ قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ**﴾[(١)]. فخلقه للمخلوقات وتسويتها على ما هي عليه من إنسان وحيوان ونبات وجماد: من أكبر الأدلة العقلية على علمه، فكيف يخلقها وهو لا يعلمها؟"[(٢)].

الرابع عشر: التفكرُ في خلق الله تعالى وقدرته مدعاة لتعظيمه وتقديره حق قدره، وقد حث الله تعالى عباده للتفكر في خلقه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾[(٣)]. قال السعدي رحمه الله: "وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: "**لَأٓيَٰتٖ**" ولم

---

(١) الملك: ١٤.

(٢) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، (ص: ٥٣).

(٣) آل عمران: ١٩٠.

يقل: "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيّرة على جميع المطالب الإلهية، وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم"(١).

الخامس عشر: إن النظرَ والتأملَ والتدبر في آيات الكون والنفس والتفكر في خلقها زادٌ مهم يُعين العبد على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتقديره حق قدره، قال تعالى: ﴿**وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿**سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾(٣). قال القرطبي رحمه الله: "أي: علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الآفاق، يعني أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٦١).

(٢) النمل: ٩٣.

(٣) فصلت:٥٣.

والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، أولم يكفهم ربك بما دلهم عليه من توحيده؛ بأنه على كل شيء شهيد[١].

السادس عشر: من أنجع وسائل تعظيم الله تعالى؛ الدعاء، وما أدراك ما الدعاء! فهو مخّ العبادة، والاعتناء به دليل إيمان وتعظيم لله سبحانه بأنه القادر على تحقيق المرغوب ودفع المرهوب، وبالإضافة إلى ما يحرص عليه العبد في دعائه بطلب توفيقه لمطالب الدنيا والآخرة، كذلك يحرص على سؤال الله جل جلاله الإعانة على خشيته وتعظيمه، ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "وأسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادة"[٢]. وجميل أن يدعو المسلم بهذا الدعاء النبوي، لأن خشيةَ الله تعالى في الغيب والشهادة من كمال إيمان العبد، ودليل تعظيم الله تعالى والحياء منه. وقد رتب الله تعالى على خشيته والخوف منها الخير الكثير، قال تعالى: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ**﴾[٣]. قال ابن القيم رحمه الله: "قيل: هو العبد

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٧٤)، بتصرف.

(٢) الألباني، صحيح النسائي، حديث رقم: (١٣٠٥).

(٣) الرحمن:٤٦.

يهوى المعصية فيذكر مقام ربه عليه في الدنيا ومقامه بين يديه في الآخرة فيتركها لله"(١). وقال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ**﴾(٢). قال ابن كثير رحمه: "يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس، فينكفُّ عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله، بأنه له مغفرة وأجر كبير(٣).

السابع عشر: من أجل فوائد تعظيم الله وتقديره حق قدره ما يشعر به العبد في حياته بالراحة والسعادة والهدوء النفسي، وكلما ازداد معرفة بربه ازداد تعظيماً له، وكلما ازداد تعظيماً لربه ازداد سعادة واطمئناناً. وفي الحديث القدسي:" وَمَا يَزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إِليّ بالنَّوافِل حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذا أَحبَبْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ بِهِ، وبَصره الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يَبْطِش بِهَا، ورِجلَهُ الَّتِي يمْشِي بِهَا، وَإِنْ سأَلنِي أَعْطيْته، ولَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّ"(٤). فمن اقترب من الله تعالى الذي بيده السعادة الحقيقية وأطاعه سبحانه

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٠١).

(٢) الملك: ١٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٩).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم (٦٥٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واستجاب لأوامره ونواهيه نال منه قمة السعادة، ليست سعادة دنيوية عابرة فقط، بل كذلك سعادة أخروية أكمل وأبقى؛ جنة عرضها السموات والأرض، فيها ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ**﴾(١)، قال ابن باز رحمه الله: فأهل الجنة ينعمون فيها وخالدون أبد الآباد، لا موت ولا مرض، ولا خروج، ولا كدر، ولا حزن، ولا حيض، ولا نفاس، ولا شيء من الأذى أبدا، بل في نعيم دائم وخير دائم.

الثامن عشر: هناك تلازم قوي وارتباط وثيق بين تعظيم الله تعالى وتقديره حق قدره وبين شكره على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى. فقد أوجبت الشريعة شكر من أسدى إلينا معروفاً، قال صلى الله عليه وسلم: "ومن صَنَع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإنْ لم تَجِدوا ما تكافِئونَه فادْعُوا له حتى تَروا أنَّكم قد كافَأْتُموه"(٢). وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يَشْكُرُ اللهَ مَن لا

---

(١) هود: ١٠٨.

(٢) الألباني، صحيح أبي داود، حديث رقم: (٥١٠٩).

يَشْكُرُ الناسَ"(١). وإذا كانت الشريعة السمحة أكدت على شكر المخلوق الذي يقدم معروفاً ولو محدوداً، فكيف بمن أسدى علينا نعماً لا حدود لها؟! أليس هو الأولى بالشكر!، وقد جاء القرآن الكريم بتوجيهات عدة تؤكد على العناية بشكر الله تعالى على نعمه، قال تعالى: ﴿**وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾(٢). قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله تعالى : ﴿**وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ أمر الله تعالى بشكره، ووعده على شكره بمزيد الخير، فقال: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾(٣)"(٤). وقد ذمّ الله تعالى الغافلين عن شكره وهم كُثر، فقال تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ**﴾(٥). قال ابن القيم رحمه الله: "إن مقامَ الشكر جامعٌ لجميع مقامات الإيمان، ولذلك كان أرفعها وأعلاها، وهو فوق الرضا. والإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، والصبر داخل في الشكر، فرجع الإيمان كله شكراً، والشاكرون هم أقل

---

(١) الألباني، صحيح أبي داود، حديث رقم: (٤٨١١).

(٢) البقرة:٥٢.

(٣) إبراهيم:٧.

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٣٦).

(٥) سبأ:١٣.

العباد، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِن عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾"[١]. "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، وهذا الدعاء المبارك وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه دبر كل صلاة[٢].

التاسع عشر: إذا ارتقى العبد في إيمانه ووصل درجة الكمال واليقين، كان أكثر خوفاً لله تعالى، ويجد رقة في قلبه لا يجدها غيره. وهذا من دلائل تعظيم الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[٣]. قال البغوي رحمه الله: ليس المؤمنُ الذي يخالف الله ورسوله، إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم، "**ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**" خافت وفَرَقَت قلوبهم، وقيل: إذا خوفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه، "**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا**"

---

(١) انظر بتوسع: مدارج السالكين، (١/١٥٢).

(٢) الألباني، صحيح أبي داود، حديث رقم: (١٥٢٢).

(٣) الأنفال:٢.

تصديقاً ويقيناً، **"وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ"**، أي: يُفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره"(١).

العشرون: إن الوجلَ الذي يشعر به المؤمنون عند سماعهم لذكر الله تعالى وتلاوة آياته، قد يأتي من شعورهم بالهيبة من إجلال الله وعظمته، ومن خوفهم من التقصير، وهو حاصل لا محالة في حق عبودية الخالق الرازق المدبر المنعم الذي تفضل عليهم بنعم لا تُعد ولا تُحصى، وهم لم يحققوا في ذات الوقت العبادة اللائقة بهذا الإنعام والإكرام، فالإنسان إذا امتلأ قلبه إيماناً وعظمة لله تعالى وتقديراً له سبحانه يشعر بتقصيره، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ**﴾(٢). قال ابن كثير رحمه الله: "أي: يُعطون العطاء وهم خائفون ألا يُتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط"(٣).

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٣٢٦).

(٢) المؤمنون: ٦٠.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٨).

(٢٠)

اللّه لطيف بعباده

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾

الله لطيف بعباده

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[١].

تمهيد:

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ جُمْلَة قرآنية في غاية البيان والتأثير من سمعها بحضور قلب تَسْكُن سُوَيْدَاء قلبه من أول وهلة، وتَبعث فيه الراحة والاطمئنان، وتُعطيه مِساحة لا حدود لها من الآمال واللطف الحاني من ربٍ رحيمٍ، لطيفٍ، ودودٍ، كريمٍ، يتودد لعباده رحمةً بهم، فكيف بمن تأمل وتدبر كلماتها الثلاث؛ فإنه بكل تأكيد سيجد دلالاتٍ ومعانٍ لا حصر لها؛ كبحر لا ساحل له، فهذا كلام الله تعالى تَقْصُر أفهامُ البشرِ عن الإحاطة بعلمه ودلالاته، إلا علم يقذفه الله تعالى في قلب متعلمه فيجلي بعضاً من أسراره، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: لا يطّلع أحدٌ من علم الله على

---

(١) الشورى: ١٩.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه، ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾(١)"(٢). وقال ابن عثيمين رحمه الله: "فما شاء الله عز وجل أن يُعْلِمه الخلق أعلمهم إياه سواء كان ذلك فيما يتعلق بذاته، أو بأسمائه، أو أفعاله، أو مخلوقاته التي هي المفعولات، أو مشروعاته التي أوحاها الله تعالى إلى رسله"(٣).

ورد اسم الله **اللَّطيف** في القرآن الكريم سبع مرات في سياقات مختلفة، وهي:

الأول: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾(٤).

الثاني: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ

---

(١) طه: ١١٠.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٩).

(٣) تفسير العثيمين (البقرة، آية: ٢٥٥).

(٤) الأنعام: ١٠٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١).

الثالث: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(٢).

الرابع: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(٣).

الخامس: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾(٤).

---

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) الحج: ٦٣.

(٣) لقمان: ١٦.

(٤) الأحزاب: ٣٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السادس: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾(١).

السابع: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾(٢).

لما كان محور الآية موضوع المقال: اسم الله **"اللَّطِيف"**، وورد بعض أسماء الله الحسنى في الآيات السبع السابقة، ولما لأسماء الله الحسنى من أهمية بالغة وتأثير عظيم في ترسيخ العقيدة الصافية، وتقوية الإيمان؛ رأيت من المناسب التعريف بهذه الأسماء، وهي: **(الله – اللطيف – الخبير – العليم – الحكيم – القوي – العزيز)**؛ على النحو الآتي:

- **لفظ الجلالة: "الله":** ورد لفظ الجلالة **"الله"** جل جلاله، في القرآن الكريم: **"٢٧٢٤"** مرة، وهو أكثر أسماء الله الحسنى وروداً فيه، ويتضمن معنيان عظيمان متلازمان؛ **المعنى الأول**: هو: الإله؛ أي: الجامع لجميع صفات الألوهية. قال ابن القيم رحمه الله: "الإله هو

(١) الشورى: ١٩.

(٢) الملك:١٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال، وهو الذي تؤلهه القلوب، وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء"[١]. **المعنى الثاني**: هو: المألوه؛ أي: المعبود الذي لا يستحق العبادة أحد سواه. قال ابن تيمية رحمه الله: "الإله هو المألوه؛ أي: المستحق لأن يؤله، أي: يُعْبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده"[٢]. وقيل: أن لفظ الجلالة **"الله"**؛ هو: اسم الله الأعظم، قاله أكثر أهل العلم رحمهم الله، منهم: أبو حنيفة، والطحاوي، وابن مَنده، والرازي، واستدلوا: بما خص الله به هذا الاسم من خصائص منها: أنه الأصل لجميع أسماء الله الحسنى، أنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، أنه اسم خاص بالله عز وجل، لم يتسم به أحد سواه، أنه مقترن بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله، أنه أكثر الأسماء دعاء به[٣].

- **اسم الله: "العليم" "الخبير":** ورد اسم الله: "**الخبير**"، في القرآن الكريم خمساً وأربعين مرةً. وعن معنى الخبير؛ قال الغزالي رحمه الله: "هو:

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (ص: ١٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٣/ ٢٠٢).

(٣) انظر: العيد، موسوعة شرح أسماء الله الحسنى، (ص ٣٠٥-٣١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بمعنى العليم، لكن العليم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سُمي؛ خبرة، وسمي؛ صاحبها خبيراً"(١). وعَرّف السعدي رحمه الله اسم الخبير مضافاً للعليم، قال: " **"العليم" "الخبير"**، هو: الذي أحاط علمِه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"(٢).

- **اسم الله: "الحكيم":** ورد اسم الله **"الحكيم"**؛ في القرآن الكريم أربعاً وتسعين مرة. قال السعدي رحمه الله: " **"الحكيم"**؛ هو: الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾(٣). فلا يَخْلُقُ شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سُدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (ص ٦٣).

(٢) خاتمة التفسير: أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته، (ص ٩٤٥).

(٣) المائدة: ٥٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره، وجزائه"[١].

- **اسم الله "القوي" "العزيز":** ورد اسم الله **"القوي"** في القرآن الكريم تسع مرات، قال الطبري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ**﴾[٢]: "لا يَغْلِبه غالب، ولا يَرُد قضاءَه راد، يَنْفُذ أمره ويمضي قضاؤه في خلقه، شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه"[٣]. وورد اسم الله **"العَزِيزُ"** في كتاب الله اثنتين وتسعين مرة. قال ابن كثير رحمه الله: " **"العَزِيزُ"**: الذي عزّ كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته، وعظمته، وجبروته، وكبريائه"[٤]. وقال السعدي رحمه الله: "هذه الأسماء العظيمة: **"العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقتَدِرُ، القوِيُّ، المَتِينُ"** معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة ﴿**إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ**

---

(١) خاتمة التفسير: أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته، (ص ٩٤٥).

(٢) الأنفال: ٥٢.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ١٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٨).

جَمِيعًا﴾[١]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾**[٢].

فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: عزّة القوة الدالّ عليها من أسمائه: القوي، المتين، وهي: وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ، وعزة الامتناع؛ فإنه هو: الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع، وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته"[٣].

والمتأمل للآيات السابقة التي ورد فيها اسم الله: **"اللَّطِيف"** يلحظ اقتران اسم الله: **"الخبير"** معه خمس مرات، وتقديم اللطيف على الخبير؛ لعل من حكمة ذلك؛ قال الماوردي رحمه الله: "يحتمل وجهان من التأويل: أحدهما: لطيف بعباده في الإنعام عليهم، خبير بمصالحهم، والثاني: لطيف في التدبير خبير بالحكمة"[٤]. وقد يكون من الحكمة: "أن الله تعالى

---

(١) يونس:٦٥.

(٢) هود:٦٦.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، (ص: ٩٤-٩٥).

(٤) الماوردي، النكت والعيون، (١٣٥/٢).

يطلِّع على بواطن الأمور ويلطف بعباده، فلا يُقدِّر لهم إلا ما فيه الخير، وقد يخفى على العبد هذا الخير، فيُقابل قضاء الله بالاعتراض، فلا يلطف بك إلا من عرفك وكان خبيراً بمواطن ضعفك وقوتك وبكل أحوالك"(١). ولعلي أضيف أن اسماً واحداً من أسماء الله تعالى عندما يُختم به الآية يكون له المعاني والفتوحات والدلالات الواسعة ما الله به عليم، فكيف إذا خُتمت الآية باسمين؛ فلا شك أن المعانيَ والفتوحات والدلالات تكون أعم أشمل.

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

أورد القرطبي رحمه الله: عدة أقوال لمعنى اللطيف عند قوله الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾، وهي: "حَفِيٌّ بهم، بار بهم، رفيق بهم، لطيف بالبر والفاجر؛ لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم، لطيف بهم في العرض والمحاسبة، يلطف بهم في الرزق من وجهين: أحدهما: أنه جعل رزقهم من الطيبات، والثاني: أنه لم يدفعه إليهم مرة واحدة فيبذوه، لطيف بهم في القرآن وتفصيله وتفسيره، لطيف بأوليائه حتى عرفوه، ولو لطف بأعدائه لما جحدوه، ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب، يقبل القليل ويبذل الجزيل، يجبر

---

(١) شرح وأسرار الأسماء الحسنى للشيخ هانى حلمي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكسير وييسر العسير، لا يُخاف إلا عدله ولا يُرجى إلا فضله، يبذل لعبده النعمة فوق الهمة ويكلفه الطاعة فوق الطاقة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾(٢)، يُعين على الخدمة ويُكثر المِدْحة، لا يعاجل من عصاه، ولا يخيب من رجاه، لا يرد سائله، ولا يُوئس آمله، يعفو عمن يهفو، يرحم من لا يرحم نفسه، أوقد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجاً، وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجاً، وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجاً"(٣).

وقد لخص البيضاوي رحمه الله معنى **"اللَّطِيف"**؛ قال: "﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ أي: بَرٌّ بهم بصنوف من الْبِر لا تبْلُغها الأفهام"(٤).

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) النساء: ٢٨.

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ١٦)، بتصرف.

(٤) تفسير البيضاوي (٥/ ٧٩).

أولاً: تضمنتِ الآية موضوع المقال، أن الله لطيف بعباده، وصفة العبودية إكرام وتشريف للناس ورفعة لهم؛ قال ابن تيمية رحمه الله: "فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوقَ يخرج من العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق، بل من أضلهم؛ قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ * لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ**﴾[(١)]"[(٢)]. وينبغي على المؤمن الموفق أن يعتنيَ بعبودية الله تعالى ويخلص لها لينال شرفها، ويعطيها جل اهتمامه؛ علماً، وفهماً، وتطبيقاً، وقولاً، وفعلاً. قال ابن القيم رحمه الله عن العناية بالعبودية والإخلاص لها: "أنها الغاية التي شمَّر إليها السالكون، وأمَّهَا القاصدون، ولحظ إليها العاملون، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية"[(٣)].

---

(١) الأنبياء: ٢٦-٢٧.

(٢) العبودية، (ص ٧٥).

(٣) مدراج السالكين، (ص ٤٣٠).

ثانياً: يوجد تلازم وتوافق وعلاقة قوية بين اسم الله اللطيف وبين رحمة الله بعباده. قال السعدي رحمه الله: "اعلم أن اللطفَ الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال، ولسان الحال هو من الرحمة، بل هو رحمة خاصة، فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها، أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف، فإذا قال العبد: يا لطيف الطف بي، أو لي، وأسألك لطفك فمعناه تولني ولاية خاصة بها تُصلح أحوالي الظاهرة، والباطنة وبها تندفع عني جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية"(١).

ثالثاً: الآيةُ الكريمة موضوع المقال فيها شُحْنَات إيمانية لا حصر لها، وعلى قدر حضور القلب وخشوعه وتدبره للقرآن الكريم يزداد من هذه الشُحْنَات، ولا شك أن الحياةَ المعاصرة فيها من الضغوط في مجالات شتى ما الله بها عليم، فهو بحاجة ماسة إلى هذه الشحنات الإيمانية، وموضعها الطبيعي؛ كلام الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾(٢). قال محمد رشيد

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، (ص ٢٢٦).

(٢) الأنفال:٢.

رضا رحمه الله: "﴿**زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ "أي: يقيناً في الإذعان، وقوة في الاطمئنان، وسعة في العرفان، ونشاطاً في الأعمال"[١]. وقال تعالى: ﴿**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ﴿**ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه"[٣].

رابعاً: إن حضورَ القلب عند سماع، أو قراءة الآية موضوع المقال وتدبر ما تضمنته من أسماء الله الحسنى: "**الله**" "**اللطيف**"، فإنه يجد معها كماً وافراً من الراحة والاطمئنان وسكون القلب والهمة والنشاط، فكيف إذا أعادها مراراً وتكراراً في قيام الليل وقت النزول الإلهي – نزولاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه – ووقت الهدوء والسكينة وغفلة الناس إما بنومٍ، أو

---

(١) تفسير المنار (٩/ ٤٩٢).

(٢) الزمر: ٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٨٤).

لهوٍ، فإنه بدون شك سيكون التأثير أعظم والاطمئنان أقوى، والهمة أعلى، ومثلها من الآيات: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾[٢]. وتأكيداً لهذا المعنى فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه يقوم الليل بآية واحدة يرددها، والآية قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٣]. وهناك أخبار عن السلف رحمهم الله مثل ذلك لا يتسع المجال لذكرها. وسُئل ابن عثيمين رحمه الله عن حكم تكرار الآية في الصلاة، فقال: "ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صلاة الليل ما لم يثبت في صلاة الفرض، فمن ذلك أنه كرر قول الله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ كررها إلى الصباح، وهو يصلي، وكذلك كان لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا آية تسبيح إلا سبح، ولا آية وعيد إلا تعوذ، ففي صلاة الليل أشياء

(١) الزمر: ٣٦.

(٢) النجم:٥٨.

(٣) المائدة:١١٨. الألباني، صحيح ابن ماجه، رقم: (١١١٨).

مشروعة لا تُشرع في الفريضة، مثل هذه، فنحن نكرر هذا لعل قلوبنا تلين وتخشع وتذكر الإيمان بالله"(١).

خامساً: إن العلمَ بأسماء الله الحسنى له أهميةٌ بالغة في معرفة الله تعالى، وأثر قوي في ترسيخ العقيدة، وتقوية الإيمان. قال ابن القيم رحمه الله: "وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلَمَ، كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر، كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد"(٢).

سادساً: لُحِظ في الآيات السبع التي ورد فيها اسم الله **"اللَّطِيف"**، أن خواتيمها اقترنت باسمين من أسماء الله الحسنى؛ خمس آيات ارتبط فيها اسم الخبير باللطيف، وواحدة العليم الحكيم، والأخرى القوي العزيز، ولا شك أن من تأمل وتدبر بعقله ووجدانه خواتيم جميع الآيات في القرآن الكريم المختتمة بأسماء الله الحسنى امتلأ قلبه إيماناً ويقيناً وفهماً لمعاني الآيات. قال السعدي رحمه الله: "وهذا بابٌ عظيم في معرفة الله

---

(١) جلسات رمضانية (٣٢/٤).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، (١/ ٦-٧).

www.alukah.net

ومعرفة أحكامه، وهو من أجلّ المعارف وأشرف العلوم، فتجد آية الرحمة مختومةً بصفات الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر، ومن الأمثلة؛ قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾[١]، فخلقه للمخلوقات وتسويتها على ما هي عليه من إنسان وحيوان ونبات وجماد: من أكبر الأدلة العقلية على علمه، فكيف يخلقها وهو لا يعلمها؟"[٢].

(١) الملك: ١٤.

(٢) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، (ص: ٥٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(٢١)

الإقبال على الخير من علامات التوفيق

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾

الإقبال على الخير من علامات التوفيق

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾(١).

تمهيد:

يؤكد القرآن الكريم على العديد من السنن الكونية والاجتماعية التي تنظم حركة الكون، وحركة الاجتماع البشري، وهذه السنن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسنة الأصل، والقاعدة الأساس التي أثبتها الله تعالى، الدالة على عظمته وقدرته وحكمته ووحدانيته جل جلاله في تدبير الملكوت الواسع، وما فيه من أكوان، وخلقٍ لا يحصي عدده، ولا يحيط بعلمه إلا الله وحده جلت قدرته، وَعَظُمَ شأنه، قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾(٢). قال الطبري رحمه الله: "هو كلّ يوم في شأن

(١) محمد: ٣٨.

(٢) الرحمن: ٢٩.

خلقه، فيفرج كرب ذي كرب، ويرفع قوماً، ويخفض آخرين، وغير ذلك من شؤون خلقه"(١).

أولاً: إن السننَ الكونية تسير بالتسخير، يعني ليس هناك اختيار للشمس ولا للقمر: ﴿**أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾(٢) ، أما بالنسبة لسنن الله في الناس، والأفراد والمجتمعات، فإنها مرتبطة بإراداتهم وأفعالهم واختيارهم(٣). قال الطبري رحمه الله، عند تأويل قوله تعالى: ﴿**قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾(٤) "أي: جئنا بما أحدثتَ فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك"(٥). أما أعمال الناس وأفعالهم، فهي مبنية على إراداتهم واختياراتهم، قال تعالى: ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**﴾(٦)". قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هذا

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٩).

(٢) فصلت: ١١.

(٣) محمد صالح المنجد، أهمية وفوائد دراسة السنن الإلهية، الموقع الرسمي على الانترنت.

(٤) فصلت: ١١.

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٩).

(٦) المدثر:٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تهديد وإعلام أن من تقدم إلى الطاعة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب لا ينقطع، ومن تأخر عن الطاعة وكذب محمداً صلى الله عليه وسلم عوقب عقاباً لا ينقطع"(١).

ثانياً: أقربُ مثالٍ للسنن الاجتماعية الشائعة التي يلمسها الناس، سنة التغيير. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾(٢) ، وقال سبحانه: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(٣). قال ابن باز رحمه الله: "إن الله جل وعلا يغير ما بالناس إذا غيروا، فإذا كانوا على طاعة واستقامة ثم غيروا إلى المعاصي، غيرَّ الله حالهم من الطمأنينة والسعادة واليسر والرخاء إلى غير ذلك".

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ٨٦).

(٢) الرعد: ١١.

(٣) الأنفال: ٥٣.

ثالثاً: أوضح السعدي رحمه الله في تفسير الآية موضوع المقال، فقال: "﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا**﴾ عن الإيمان بالله، وامتثال ما يأمركم به ﴿**يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم**﴾ في التولي، بل يطيعون الله ورسوله، ويحبون الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾"[١].

رابعاً: ركزت الآية موضوع المقال بوضوح على سنة الاستبدال في الجانب الديني عقيدة وشريعة، وهناك آية أخرى متوافقة معها، قوله تعالى: ﴿**إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "﴿**وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**﴾، أي: لنصرة نبيه وإقامة

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٩١).

(٢) التوبة: ٣٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دينه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾(١)"(٢).

خامساً: لما كانت عقيدة التوحيد هي أساس الدين، ومنطلق شرائعه؛ كان الالتزام بها واجباً، وكذا الحرص على تطبيقها واقعاً؛ قولاً وعملاً، لأن مآل ذلك خير عظيم، وتوفيق لا حد له، وسعادة دائمة لا تنقطع في الدنيا والآخرة، ومن حاد عن ذلك واستبدل الأدنى بما هو خير، فقد أضر نفسه، ولا يضر الله شيئاً، بل قد خسر خسراً مبيناً، فالموفق من وفقه الله.

سادساً: إن تأسيسَ البنيان على قواعد متينة وراسخة أدعى للبقاء والاستمرار مهما عصفت به الرياح وطالت به السنون، وكذلك من اعتمد في كل شؤونه على عقيدة صافية، ومنهج قويم مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ووفق منهج سلف

(١) محمد: ٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأمة الصالح، فقد استمسك بالعروة الوثقى، وسار واتجه في المسار الصحيح، وصدق الله العظيم: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ**﴾(١). قال ابن باز رحمه الله: "المعنى: إن من اتبع الهدى، واستقام على الحق الذي بعث الله به نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، فإنه لا يضل في الدنيا، بل يكون مهتديًا مستقيمًا، ولا يشقى في الآخرة، بل له الجنة والكرامة".

وصدق القائل:

وَالبَيتُ لا يُبتَنى إِلاّ لَهُ عَمَدٌ

وَلا عِمادَ إِذا لَم تُرسَ أَوتاد

سابعاً: يتسع معنى الآية الكريمة موضوع المقال، فلا يقتصر فقط على الجانب العقدي والإيماني، فهي تشمل مناحي الحياة كلها، فمن تولى عن أمرٍ، أو مجالٍ، أو أي شأن فيه خير وصلاح ونفع عام

(١) طه: ١٢٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو خاص، فإن سنةَ الاستبدال تطوله، وهذا واقع مشاهد وملموس، فالحياة وشؤونها لا يقتصر تسيير الأعمال وتمامها وإنجازها على شخص بعينه، أو أشخاص معينين، بل قد تكون سنة الاستبدال حلاًّ ناجعاً، وقدراً إلهياً فيه خير كثير لم يكن متوقعاً.

ثامناً: من أقوى العلاقات الاجتماعية، بل أعظم المواثيق، ميثاق عقد النكاح، وعليه تقوم نشأة المجتمع والأمة بأسرها، قال تعالى: ﴿**وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[١]. قال ابن عثيمين رحمه الله: "الميثاق العهد، والغليظ المشدد، أو الشديد أي: أخذن منكم ميثاقا غليظا، وذلك بعقد النكاح"[٢]. قال الشعراوي رحمه الله: "وهذا الميثاق الغليظ يحتم عليك إن تعثرت العِشْرة أن تتحملها وتعاملها بالمعروف، وإن تعذرت وليس هناك فائدة من استدامتها فيصح أن تستبدلها"[٣]. وعلى

(١) النساء: ٢١.

(٢) تفسير العثيمين (النساء، ١/ ١٦١).

(٣) تفسير الشعراوي (٤/ ٢٠٨٧).

الرغم من قدسية هذه العلاقة، وميثاقها الغليظ، فإذا تصدع بنيانها، ولم يفلح صلاحها بالطرق الشرعية المعتبرة، وباءت كل محاولات الإصلاح الشرعية بين الطرفين بالفشل، وحصل حينئذ الفراق، فقد حان الاستبدال. قال سبحانه: ﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا**﴾(١). قال ابن كثير رحمه الله: "أخبر تعالى أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها ويغنيها عنه، بأن يعوضه بها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه: ﴿**كَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا**﴾، أي: واسع الفضل عظيم المن، حكيماً في جميع أفعاله وأقداره وشرعه"(٢).

تاسعاً: خُتمت آية الفراق بين الزوجين باسم الله الواسع، ومن مدلولاته أن أيَّ أمر من أمور الحياة وإن كان عظيماً ظاهره المشقة، ولم يفلح معه التوجيه والإصلاح، فالله تعالى بسعة قدرته وعظيم

(١) النساء: ١٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حكمته يوجد المخارج المناسبة الكفيلة بتيسيره على أحسن حال وأفضل مما كان عليه، ويؤكد الدكتور باسم عامر أن من آثار اسم الله **"الواسع"**:

"أنه يفتح للعبد أبواب الرجاء كلما ضاقت عليه الأمور، ويعطيه آمالاً كبيرة عندما تواجهه المصائب والعقبات وتوصد عليه الأبواب، ولا يبقى له باب إلا باب الله الواسع، الذي بيده مقاليد كل شيء"(١).

عاشراً: الأولى عدم المبالغة في التمسك بالأشخاص، أو عموم الأشياء، فمن تولى برغبته، ولم يتبين معه الحرص على البقاء وبذل أسبابه، وبخاصة إذا تأزمت الأمور وبدأ يحصل معه التنافر والشقاق، ولا أمل يُرتجى في إصلاح الحال، فحينئذ يأتي دور السنة القرآنية: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم**﴾.

---

(١) معاني أسماء الله الحسنى ومقتضاها، موقع الألوكة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحادي عشر: إن العنايةَ بتقوى الله تعالى، والالتزام بشرعه بأداء الفرائض، والإكثار من نوافل العبادات لها أثر قوي في إنارة البصيرة، وحصن حصين وملجأ آمن بحول الله وقوته من أي انحراف وزيغ عن جادة الصواب في أمور الحياة الدينية والدنيوية، فيكون العبد في رعاية الله وحفظه في يومه وليله وحاضره ومستقبله.

الثاني عشر: ينبغي على المسلم التحلي بالصبر، وحسن الأخلاق في التعامل مع أهله وإخوانه وجيرانه وأقرانه والناس أجمعين، والحذر الشديد من التهور والاستعجال في اتخاذ القرارات، وخاصة المصيرية منها إلا بعد الاستخارة الشرعية، والاستشارة من أهل الخبرة والرأي السديد المعروفين بالصلاح والتقوى.

(٢٢)

أعظم النعم

﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾

أعظم النعم

﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[١].

تمهيد:

إن من أعظم النعم التي يَمُنُّ الله تعالى بها على عباده نعمةَ الهداية والاستقامة على صراطه المستقيم، فهي مجلبة لكل خير في الدنيا والآخرة، وصدق الله العظيم: **﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾**[٢]. قال ابن باز رحمه الله: والمعنى: "أن من اتبع الهُدى، واستقام على الحق الذي بعث الله به نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام فإنه لا يضل في الدنيا، بل يكون مهتديًا مستقيمًا، ولا يشقى في الآخرة، بل له الجنة والكرامة".

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن هيأ لهم الأسباب الموصلة إلى الصراط المستقيم، ومن أعظم هذه الأسباب تأثيراً بعد الفطرة السوية؛ قراءة وتدبر

---

(١) الملك: ٢٢.

(٢) طه: ١٢٣.

سورة الفاتحة في الصلوات الخمس وما تضمنته من دعاء جامع مبارك يردده العبد في اليوم والليلة سبع عشرة مرة في صلاة الفريضة غير سنن الرواتب والنوافل، قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[(١)]. قال القرطبي رحمه الله: "**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**"، دعاء ورغبة من المربوب إلى الرب، والمعنى: دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أُنْسك وقربك"[(٢)].

وقال السعدي رحمه الله: " "**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**"، أي: دُلنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط، فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك"[(٣)].

---

(١) الفاتحة:٦.

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٤٧).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٩).

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكباً على وجهه، أي: يمشي منحنياً لا مستوياً على وجهه، أي: لا يدري أين يَسْلُك، ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى **"أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا"** أي: منتصب القامة، **"عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ"**، أي: على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يُحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم، مُفْضى به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يُحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم"(١).

وقال المراغي رحمه الله: "أفمن يمشي وهو يتعثر في كل ساعة، ويخِر على وجهه في كل خطوة، لتوعر طريقه، واختلاف أجزائها انخفاضاً وارتفاعاً أهدى سبيلاً وأرشد إلى المقصد الذي يؤمه، أم من يمشي سالماً من التخبط والعثار على الطريق السويّ الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف؟ فهذا المكب

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٠١).

على وجهه هو: المشرك الذي يمشى على وجهه في النار يوم القيامة، والذي يمشي سوياً هو: الموحد الذي يحشر على قدميه إلى الجنة"(١).

وقال السعدي رحمه الله: "أيُّ الرجلين أهدى؟ من كان تائهاً في الضلال، غارقًا في الكفر قد انتكس قلبه، فصار الحق عنده باطلاً والباطل حقًا؟ ومن كان عالماً بالحق، مؤثرًا له، عاملاً به، يمشي على الصراط المستقيم في أقواله وأعماله وجميع أحواله؟ فبمجرد النظر إلى حال هذين الرجلين، يُعلم الفرق بينهما، والمهتدي من الضال منهما، والأحوال أكبر شاهد من الأقوال"(٢).

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

أولاً: إن صمامَ الأمان وسفينة النجاة في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة؛ لزومُ الصراط المستقيم المفضي عن الإيمان بالله تعالى، فالإيمان هو مصدر الخير والضياء والنور، فكلما قوي إيمان العبد ويقينه بالله تعالى اشتد

(١) تفسير المراغي (٢٩/ ٢١).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٧٧).

الضياء والنور لديه، وكان أشد التزاماً بالصراط المستقيم فتجاوز ظلمات الحياة وعقباتها النَّكِدَة والعكس صحيح، وصدق القائل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس

ثانياً: يؤكد الشنقيطي رحمه الله في تفسيره أن الإيمانَ يُكْسِب الإنسان حياةً بدلًا من الموت الذي كان فيه، ونورًا بدلًا من الظلمات التي كان فيها، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها؛ قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾(٢)، وهذا النور العظيم يكشف الحقائق كشفًا عظيمًا؛ كما قال تعالى: ﴿**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ**﴾(٣).

---

(١) فاطر: ١٩-٢٢.

(٢) هُود: ٢٤.

(٣) النور: ٣٥.

ثالثاً: إن الإسلامَ نورٌ وهداية، فالرسول صلى الله عليه وسلم نور، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا**﴾(١). قال الطبري رحمه الله: " "**وَسِرَاجًا مُنِيرًا**" يقول: وضياءً لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده. "**مُنِيرًا**" يقول: ضياء ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره، وإنما يعني بذلك: أنه يهدي به من اتبعه من أمته"(٢). والقرآن الكريم نور، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلۡنَا إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا**﴾(٣). قال السعدي رحمه الله: "هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره"(٤).

رابعاً : من مهمات التربية الإسلامية عنايتُها بتثبيت العقيدة الصحيحة، وتقوية الإيمان، ولا سبيل لذلك إلا بالعلم الشرعي المؤصل من

---

(١) الأحزاب: ٤٥-٤٦.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٨٢).

(٣) النساء: ١٧٤.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٢١٧).

العلماء الثقات، ثم عناية الإنسان بصلاح نفسه بالتزام تقوى الله تعالى في السر والعلن، والإكثار من الدعاء وذكر الله تعالى في يومه وليله؛ ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ**﴾(١). وقدوتنا نبينا صلى الله عليه وسلم كان يُكثر من دعاءِ: "يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ"(٢). قال ابن باز رحمه الله: "والمؤمن يسأل ربه يقول: اللهم ثبت قلبي على دينك، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك، يسأل ربه الثبات".

خامساً: إن ضربَ المثل أسلوبٌ مشتهر من أساليب التربية الإسلامية، مستوحى من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهناك مصنفات عدة تناولت موضوع الأمثال في القرآن والسنة، ولا شك أن المثل مهم في توصيل المعلومة وتقريبها للمتلقي أياً كان عمره، وينبغي أن يكون المثل مختاراً بعناية فائقة ليكون أكثر وقعاً على النفس وأبلغ في التأثير، وكما قيل: **"بالمثال يتضح المقال"**. وقد أشار القرآن الكريم في آيات عدة إلى

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) الألباني، صحيح الترمذي، (٣٥٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسلوب المثل، ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[١]. قال السعدي رحمه الله: "يُخبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل الخير وأمثال أهل الشر، وأمثال التوحيد والشرك، وكل مثل يُقرب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك "**لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**" عندما نوضح لهم الحق فيعلمون ويعملون"[٢]. فينبغي على كافة المؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية العناية بأسلوب ضرب المثل أيما عناية، تشمل: إيجاد مناهج متخصصة للأمثال، يقوم عليها متخصصون يمتلكون مهارات معينة وقدرات مميزة في ضرب المثل، وعقد دورات وورش عمل لمناقشة كل جديد يُسهم في تطوير هذا الفن، ولا شك أن لذلك ثماراً يانعة تؤتي أُكُلها بعون الله ويعود نفعها على الارتقاء بمستوى الطلاب خاصة ومخرجات التعليم عامة.

سادساً : تُشير الآية الكريمة موضوع المقال إلى أهمية الالتزام بصراط الله المستقيم والتمسك بشرعه القويم، فمن التزمه؛ "**يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**"، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: على طريق واضح بين،

---

(١) الزمر:٢٧.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٢٣).

وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة "[١]. وقال المراغي رحمه الله: "يمشي سالماً من التخبط والعثار على الطريق السويّ الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف"[٢]. والحذر من الانحراف عن صراط الله المستقيم والتمسك بشرعه القويم، ومن انحرف عنه؛ **"يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ"**. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: يمشي منحنياً لا مستوياً على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال"[٣]. وقال المراغي رحمه الله: "يمشى وهو يتعثر في كل ساعة، ويخر على وجهه في كل خطوة، لتوعر طريقه، واختلاف أجزائها انخفاضاً وارتفاعاً"[٤]. لذلك ينبغي أن يستقرَّ في عقل ووجدان المسلم أنه كلما ارتقى في سُلَّم الالتزام بصراط الله المستقيم وشرعه القويم، كلما كان أبعد عن الانحراف والتخبط والضياع، وعاش في سلامة وعافية في أمر دينه ودنياه، والعكس صحيح.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٠١).

(٢) تفسير المراغي (٢٩/ ٢١).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٠١).

(٤) تفسير المراغي (٢٩/ ٢١).

www.alukah.net

سابعاً : يجب على المسلم أن يلتزمَ الحذر في شؤون كلها؛ فالحذر توجيه رباني، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ**﴾(١).

قال عبد الحق حميش: "الحذرُ خَصلة حميدة وصفة مجيدة، لا يستغني عنها أحد في أيّ حال من الأحوال، وأخذ الحذر من باب الأخذ بالأسباب المأمور بها شرعًا بجانب التوكّل على الله"(٢). وأهم ما يحذر منه الإنسان التخبط في متاهات السُّبل، وهي كثيرة، وقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك أجمل تنبيه، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ**﴾(٣). قال ابن باز رحمه الله: "والمعنى: الزموا الطريق الواضح الذي سار عليه نبيُّكم عليه الصلاة والسلام، وسار عليه أصحابُه، وبيّنه كتابُ الله، وبيَّنته السُّنة، فالزموه وسيروا عليه، وهو توحيد الله وطاعته، واتِّباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، ودعوا ما خالف ذلك، هذا هو **الصِّراط المستقيم**".

(١) النساء: ٧١.

(٢) مقال: الحذر والحيطة في حياة المسلم، موقع الخبر، ٢٠١٩م.

(٣) الأنعام: ١٥٣.

ثامناً: من أعظم الصوارف المشغلة للناس اليوم؛ أجهزة ومنصات وتطبيقات الاتصال الحديثة المتنوعة، أو ما تُسمى: **(وسائل التواصل الاجتماعي)**، وما تَبُثُّه في حيزٍ كبير منها؛ شبهات وشهوات تمس الجوانب الفكرية والأخلاقية والسلوكية، وأعظمها خطراً ما يتعلق بالجانب العقدي، ولا شك أن لذلك تأثيراً بالغاً في عقل ووجدان المسلمين وبخاصة الناشئة والشباب ذكوراً وإناثاً، مما يؤدي بهم إلى الانحراف عن الصراط المستقيم، وليس بخاف اليوم ما نشاهده في بعض المجتمعات الإسلامية من ظهور انحرافات خطيرة لدى بعض الشباب قد يصل بعضها إلى الإلحاد والخروج من الإسلام بالكلية، نسأل الله السلامة والعافية. فالواجب على كافة المؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية العناية التامة بإعداد برامج احترافية ومحاضن تربوية للمحافظة على ناشئة المسلمين وشبابهم من الأفكار الوافدة، والتي هي في جلها بعيدة عن مبادئ الإسلام وقيمة السامية، وقد يكون فيها استهدافٌ لشباب المسلمين خاصة لإقصائهم عن دينهم وعن هويتهم الإسلامية، فاللهم احفظنا والمسلمين من الفتن ما ظهرها وما بطن.

تاسعاً: من ألد أعداء الإنسان الشيطان، وجاء التحذير منه واضحاً في آيات عدة من القرآن الكريم، بل وصفه بالعدو المبين، قال تعالى: ﴿**وَلَا**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١]. قال السعدي رحمه الله: "والعدو المبين؛ لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، وما به الضرر عليكم"[٢]. وفي حقيقة الأمر أن من المهمات الأساس للشيطان إغواء بني آدم، وقد أظهر عداوته جلياً بما حكاه القرآن الكريم عنه: **﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**[٣]. قال الطبري رحمه الله: "فإنه يقول: لأجلسن لبني آدم "**صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**"، يعني: طريقك القويم، وذلك دين الله الحق، وهو الإسلام وشرائعه. وإنما معنى الكلام: لأصدَّن بني آدم عن عبادتك وطاعتك، ولأغوينّهم كما أغويتني، ولأضلنهم كما أضللتني"[٤].

عاشراً: هناك تلازمٌ واضح وعلاقة قوية بين الانحراف عن الصراط المستقيم، وبين تزيين الشيطان لسبل الغواية، والموفق من استعان بالله تعالى وتبصر في أمور دينه، ليعرف الخير فيسلك مسلكه، ويعرف الشر فيتجنب مسالكه، فالحلال بين والحرام بين. ولأهمية هذا الموضوع أنصح بالرجوع إلى

(١) البقرة:٢٠٨.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٤).

(٣) الأعراف:١٦.

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٤).

مقال: **"ملامح تربوية مستنبطة من قول الله تعالى: "إن كيد الشيطان كان ضعيفاً" على صفحة الكاتب ـ موقع الألوكة"**.

الحادي عشر: إن الاستقامةَ على الصراط الله المستقيم وشرعه القويم؛ فطرة الله التي فطر الناس عليها، قال تعال: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(١). قال السعدي رحمه الله: "إن جميعَ أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها"(٢).

الثاني عشر: يجب على المؤسسات التربوية، والأسرة تحديداً المحافظة في تنشئة أولادهم على الفطرة والعناية بها وفق منهج التربية الإسلامية الصحيح، وإبعادهم عن كل ما يؤثر عليها ويؤدي إلى إفسادها وانحرافها عن الصراط المستقيم، قال صلى الله عليه وسلم: "كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٤١).

فأبواه يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه"(١). قال صالح الفوزان حفظه الله: "إن كل مولود يولد وهو قابل لدين الإسلام لأن فطرته تتقبل هذا، قال جلَّ وعلا: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾(٢). ولكن الفطرة قد تتغير بسبب التربية السيئة، فإذا كان أبوه يربيه على اليهودية صار يهودياً، وإذا كان نصرانياً صار نصرانياً، وإن كان مجوسياً صار مجوسياً: فأبواه يهودنه أو ينصرانه أو يمجسانه الذي يحرف الفطرة السليمة هو: التربية السيئة والتربية الخبيثة، فيجب على الوالدين أن يحرصا على المحافظة على فطرة أولادهم الدينية، وأن يأمروهم بطاعة الله وينهوهم عن معصية الله، ويربوهم تربيةً إسلامية توافق فطرتهم".

الثالث عشر: يحتاج الإنسان إلى محاسبة نفسه بصفة دائمة ومراجعتها للتأكد من مدى سلامة سيره على الصراط المستقيم، وبخاصة في الأمور المهمة التي تحتاج إلى تأنٍّ وحكمة، وتأتي في مقدمتها شرائع الدين وأحكامه، ومن توجيهات الشريعة السمحة في محاسبة النفس، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ

(١) صحيح البخاري (١٣٨٥)، صحيح مسلم: (٢٦٥٨).

(٢) الروم: ٣٠.

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[١]. قال السعدي رحمه الله: "هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه"[٢]. قال صلى الله عليه وسلم: "الكَيّسُ مَن دان نفسَه وعمِل لما بعدَ الموتِ والعاجِزُ مَن أتبَع نفسَه هَواها وتمنَّى على اللهِ الأمانِيَّ"[٣]. قال ابن عثيمين رحمه الله: "من دان نفسه"؛ يعني: من حاسبها ونظر ماذا فعل من المأمورات، وماذا ترك من المنهيات هل قام بما أُمر به؟ هل ترك ما نُهي عنه؟ إذا رأى من نفسه تفريطاً في الواجب استدركه إذا أمكن استدراكه، وقام به أو ببدله إذا رأى من نفسه انتهاكاً لمحرم أقلع عنه وندم وتاب واستغفر"[٤].

(١) الحشر:١٨.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٥٣).

(٣) الترمذي، حديث رقم: (٢٤٥٩)، ابن ماجه، حديث رقم: (٤٢٦٠).

(٤) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (١/٥٠٨).

(٢٣)

عواقب الطغيان وخيمة

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾

عواقب الطغيان وخيمة

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾(١).

تمهيد:

الطغيانُ طبيعةٌ إنسانية مركوز في فطرته، ويتغذى بقيم الكبر، والشبع، والشعور بالاستقلالية، وإهمال القيم الأخلاقية الرفيعة التي تحث على التواضع، ولين الجانب، وحسن التعامل مع الأخرين، ومراعاة مشاعرهم، وغالباً للبيئة المحيطة دور كبير في تغذيته، فكلما تعمق فساد البيئة زاد الطغيان، والعكس صحيح، ولذلك فإن الآية موضوع المقال تحذر من الطغيان، والالتزام بالقيم والأخلاق الفاضلة ليعم الخير، والعدل، والمحبة، والسلام.

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع المقال:

---

(١) العلق: ٥.

www.alukah.net

يسّر الله الاطلاع على عدد من كتب تفاسير القرآن الكريم للتعرف على مدلولات تفسير الآية موضوع المقال، فشدني تفسير سماحة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله لما عرضه من تفصيل شامل ودقيق للآية، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وإليكم ما ذكره رحمه الله على النحو الآتي:

١. "إن "الْإِنْسَانَ" ليس شخصًا مُعيَّنًا، بل المراد الجنس؛ كلُّ إنسانٍ من بني آدم إذا رأى نفسَه استغنى فإنَّه يطغى.

٢. معنى الطُّغيان: مجاوزةُ الحد، إذا رأى أنَّه استغنى عن رحمة الله طغى ولم يُبالِ، إذا رأى أنَّه استغنى عن الله عز وجل في كَشْف الكُرُبات وحصول المطلوبات صار لا يلتفت إلى الله ولا يبالي، إذا رأى أنَّه استغنى بالصحة نَسِيَ المرض، وإذا رأى أنَّه استغنى بالشبع نَسِيَ الجوع، إذا رأى أنَّه استغنى بالكسوة نَسِيَ العُري .. وهكذا.

٣. الإنسانُ من طبيعته الطُّغيان والتمرُّد متى رأى نفسَه في غِنًى، ولكن هذا يخرج منه المؤمن؛ لأنَّ المؤمنَ لا يرى أنه استغنى عن الله طرفة عين، فهو دائمًا مفتقرٌ إلى الله سبحانه وتعالى، يسألُ ربَّه كلَّ حاجة، ويلجأُ

إليه عند كلِّ مكروه، ويرى أنَّه إنْ وَكَله الله إلى نفسه وَكَله إلى ضعفٍ وعجْزٍ وعورةٍ، وأنَّه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، هذا هو المؤمن، لكن الإنسان من حيث هو إنسانٌ من طبيعته الطغيان، وهذا كقوله تعالى: ﴿**وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[1]"[2].

الملامح التربوية المستنبطة من الآية موضوع المقال:

بجهد المقل سأعرض جملة من الملامح التربوية التي تضمنتها الآية موضوع المقال، لعلها تُسهم في ضبط السلوك الإنساني من الطغيان؛ وبالله التوفيق، وعليه التكلان:

أولاً: إن التسلحَ بالإيمان الصادق، والالتزام بشرع الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هو السبيل الأمثل للبعد عن الطغيان، وتجاوز الحدود، ونشر الخير والمحبة، والفضيلة والسلام بين الناس على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم.

---

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) لقاء الباب المفتوح (٤/٨٣).

ثانياً: تختلفُ درجة طغيان الإنسان بحسب ما لديه من إيمان وتقوى، فكلما قوي الإيمان كان بعيداً عن إيذاء من حوله، وخاصة أخيه الإنسان بأية صورة من صور الإيذاء، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[١]، وقول نبينا صلى الله عليه وسلم: "المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده"[٢]، وقوله أيضا عليه الصلاة والسلام: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله"[٣].

ثالثاً: المؤمنُ المتقي في الغالب إنْ حصل منه طغيان وتعدٍّ على الآخرين فسرعان ما يبادر بالاعتذار، وطلب الصفح لأنه يخشى من جزاء الله تعالى وعقابه في الدنيا قبل الآخرة، وصدق الله العظيم: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم**

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) صحيح البخاري: (١٠)، صحيح مسلم: (٤٠).

(٣) صحيح البخاري: (٦٠٦٤)، صحيح مسلم: (٢٥٦٤).

مُّبْصِرُونَ﴾[١]. قال السدي رحمه الله: "إن المتقيَ إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية، فأبصر فنزع عن مخالفة الله"[٢].

رابعاً: من أهم بواعث الطغيان لدى الإنسان؛ الغضب، وما يحصل معه من ظلم لأخيه الإنسان، وقد حذّر نبينا صلى الله عليه وسلم منه أشد التحذير، كما ورد في الحديث الشريف: "أنَّ رَجُلًا قالَ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أوْصِنِي، قالَ: لا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا، قالَ: لا تَغْضَبْ"[٣]. قال ابن حجر رحمه الله: "الغضب يجمع الشر كله"[٤].

خامساً: إن الاستزادةَ من العلم الشرعي والعناية به، والمحافظة على أداء الفرائض المكتوبة، والإكثار من النوافل، ومداومة ذكر الله تعالى حصنٌ حصين من تسلط النفس الأمارة بالسوء والشيطان على الإنسان، فيكون دائماً على بصيرة من إيذاء نفسه أو الآخرين، وهو في حفظ الله تعالى، فالله

---

(١) الأعراف: ٢٠١.

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٣١٨).

(٣) صحيح البخاري: (٦١١٦).

(٤) فتح الباري، (١٧/٢٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يحفظ من يحفظه ويتولى من اعتنى بعبادته وأخلص فيها، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[١].

وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله: "احفظ الله يحفظك"[٢]. قال ابن عثيمين رحمه الله: "جملةٌ تدل على أن الإنسانَ كلما حفظ دين الله حفظه الله، ولكن حفظه في ماذا؟ حفظه في بدنه، حفظه في ماله، في أهله، في دينه، وهذا أهم الأشياء أن الله يحفظك في دينك يسلمك من الزيغ والضلال؛ لأن الإنسانَ كلما اهتدى زاده الله هدى"[٣].

سادساً: أورد القرآن الكريم ثلاث حالات تَعْرُض للنفس الإنسانية:

النفسُ الأمارة بالسوء، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[٤].

(١) يونس: ٦٢.

(٢) الألباني، صحيح الترمذي، (٢٥١٦).

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤٨٨/١).

(٤) يوسف:٥٣.

والنفس اللوّامة، قال تعالى: ﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾(١).

والنفس المطمئنة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾(٢).

ولا شك أن النفسَ المطمئنة، هي نفس المؤمن التقي النقي الممتثل لشرع الله أمراً ونهياً، وهناك ارتباط وثيق بين كل نوع من هذه الأنفس ودرجة الطغيان، فعندما يكون الإنسان متلبس بالنفس الأمارة بالسوء يعم أذاه ويقل خيره، أما النفس اللوّامة، فهي على خير لما يحصل من لوم صاحبها على الطغيان إن حصل، فيؤوب إلى رشده نادماً على ما بدر منه، أما النفس المطمئنة فهي في سلام دائم، فإذا لم يحصل منها خير للآخرين لم يلحقهم منه ضرر البتة، ولعل هذه المراحل للنفس الإنسانية تتشابه إلى حد كبير مع قول الله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ**

---

(١) القيامة: ١-٢.

(٢) الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

www.alukah.net

بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[١]. والإنسان العاقل الموفق أعرف بنفسه من غيره، فالواجب أن يرتقي بنفسه ويربيها شيئاً فشيئاً على القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية الفاضلة حتى يلحق بركب النفس المطمئنة التي يأمن الناس من طغيانه ويعم خيره ويقل ضرره.

سابعاً: من أقوى مسببات طغيان الإنسان على أخيه الإنسان التعصب الديني، أو المذهبي، أو القبلي، أو العِرْقي وما شابه ذلك، ولذلك فالمهذِّب الأول والضابط لسلوك الناس في كل زمان ومكان هو الالتزام بشرع الله تعالى، ويَعضد ذلك ويُقويه ما تضعه الدول والحكومات من أنظمة وقوانين لتنظيم الحياة الاجتماعية لسلامة أفراد المجتمع الواحد مما قد يحصل من إيذاء بعضهم بعضاً، ولضمان استتباب الأمن بين أفراد المجتمع للعيش بأمن وسلام وحياة كريمة، ولكن في كلا الحالتين لضمان الالتزام بشرع الله وتنفيذ أنظمه الجهات الرسمية يحتاج الأمر إلى جهات رسمية مخولة بالمتابعة وتطبيق العقوبات المناسبة عند حدوث أية مخالفات، سواء كانت شرعية أو نظامية.

---

(١) فاطر: ٣٢.

فهرس المحتويات

المقدمة ٤

مدخل: أهمية القرآن الكريم وأثره في النفوس ٧

أوصاف القرآن الكريم ١١

(١) الحذر من استبدال الأدنى بالذي هو خير ٣٩

(٢) الرضى التام بعطاء الله ومنعه ٤٦

(٣) الحذر من عداوة الشيطان ٦٤

(٤) لا أحد أحسن حكمًا من الله ٩٨

(٥) لا يستوي الخبيث والطيب ١١٠

(٦) ما أعظم ملك الله وقدرته! ١٢٣

(٧) الله قاهرٌ فوق عباده ١٣٩

(٨) ولا ظالم إلاّ سيبلى بأظلم ١٥٢

(٩) يوم القيامة نفسي .. نفسي ١٦٥

(١٠) عمى البصيرة يورد المهالك ١٧٧

(١١) إكرام الله شرف عظيم ١٨٩

(١٢) العلاقات بين الابتلاء والصبر ٢٠٠

www.alukah.net

(١٣) أهمية الإخلاص والتقوىٰ.. ٢٠٨
(١٤) الضلال نفق مظلم ٢٢٠
(١٥) شتان بين مشرق ومغرب ٢٣٠
(١٦) انحراف الفكر مجلبة لسوء العمل.............................. ٢٣٧
(١٧) الاستقامة طريق السلامة....................................... ٢٥٦
(١٨) لا يحيق المكر السيء إلا بأهله ٢٧٠
(١٩) تعظيم الله وتقديره ٢٨٠
(٢٠) الله لطيف بعباده.. ٣٠٥
(٢١) الإقبال علىٰ الخير من علامات التوفيق ٣٢٢
(٢٢) أعظم النعم.. ٣٣٣
(٢٣) عواقب الطغيان وخيمة ٣٤٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب